رسالة التربيع والتدوير للجاحظ

(ت ٢٥٥هـ) دراسة في الصياغة والأفكار

م م:جاسم عبد الواحد

م م:مسلم مالك الاسدي

م.م:محمد ياسين عليوي الشكري

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم ،والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد:

رسالة التربيع والتدوير ،من أجمل ما كتبه الجاحظ في باب التهكم والسخرية ورسم اللوحات الكاريكاتيرية بالكلام ،في أدب العالم ،غير ناسٍ رائعة سرفانتس عن دون كيشوت ولا ما عرضته الكوميديات من مسرحيات في تاريخ العالم، و المسرح اليوناني خاصة، بيد أن تلك المسرحيات تتناول الحركة على المسرح ولها سياق وعناصر ، اما الجاحظ لم يكتب مسرحية ولم يلتفت إلى كوميديا يقوم بتمثيلها عدد من أصحاب المواهب الفنية وشأنه في هذا العمل أنه رسم بالكلمات وسخر ونوه وضحك وأحب وأحتقر .... ولم يضارعه في ذلك كاتب قط ؛فهو يملك قدرة فائقة على التلاعب بالكلمة والعبارة ،الأمر الذي مكنه من امتلاك القدرة على ،العبث بالأشكال والمسافات والأزمنة .

و إذا كان غيره قد اعتمد في رسم صورهِ على مجموعة أشخاص ،فأن الجاحظ في هذه الرسالة اعتمد شخصاً واحداً ،ولعب بأشكاله ومقاييسه، ودخائل نفسه ،فعرضه على التاريخ ؛يسأل ويجيب ،يسخر منه، ويهجوه، يحقره ،يقيمه ،يقعده ،يغرقه في بحر التناقض ،ويرفعه إلى درجات تفوق الكمال ،ثم يهوي به إلى حضيض المهانة .

لقد جعل الجاحظ من أحمد بن عبد الوهاب عالما بذاته ،كون بمفرده، لعب به الجاحظ لعبة العقل والفن معا ،لعبة العقل الرياضي، والهندسي، والجغرافي، والأسطوري، والتاريخي، واللغوي والفني ،ومن هنا أتت الغرابة والفرادة والانمياز.

فمن هو أحمد بن عبد الوهاب ؟

إن تاريخ عصر الجاحظ من جهة أدبائه ،وكتابه، وشعرائه ،وأصحاب الحل والعقد، لا يلقي ضوءاً على حياة هذا الرجل ،ولم يوضح معالم شخصيته، ولولا الجاحظ لكان أحمد بن عبد الوهاب نسيا منسيا، ولأصبح أحد أسماء الأعلام المذكورة في كتب الأعلام، كأحد وزراء الخلافة العباسية وما أكثرهم ، فالجاحظ قدم لهذا الرجل خدمة جليلة، فقد خلده على مدى الاجيل ،على الرغم من الهجاء الذي وجهه له ،الهجاء الذي جعل هذا الرجل من أشهر الشخصيات الكاريكاتيرية التي قدمت في الأدب العربي.

وتبعا لمقتضيات الموضوع فقد ضمّ البحث تمهيداً وثلاثة مباحث،اختص التمهيد بالتعريف بالرسالة، وبأحمد بن عبد الوهاب وشخصيته الواقعية ،كم ذكرت في كتب التاريخ ، وتناول المبحث الأول أهم الأسباب التي حفزت الجاحظ لتأليف رسالته .

أما المبحث الثاني فقد تحدثنا فيه عن الصورة الفنية التي رسم بها الجاحظ تلك الشخصية الرئيسة .

وخصّصَ المبحث الثالث للحديث عن فن الكتابة عند الجاحظ ، وذكر أهم المميزات التي تمتع بها أسلوبه في هذه الرسالة.

وأعقبنا التمهيد وتلك المباحث خاتمة بينا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال الرسالة وكذلك قائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدها البحث.

التمهيد :

أ- تعريف بالرسالة :

رسالة التربيع والتدوير إحدى رسائل الجاحظ إلى احمد بن عبد الوهاب ،يسخر فيها منه،ويتهكم بها عليه ،ويتلاعب بهيأته ،ويتفنن بتصويره ،ووصفه بمختلف النعوت والأشكال ، واستطاع الجاحظ تحقيق ذلك؛ بوساطة توظيفه ملكاته الفنية وقدراته الابداعية وطاقاته في الرسم بالكلمات ،والتصوير بالالفاظ



مستمدا من ثقافته الكلامية والادبية والفقهية والتاريخية وغيرها من الثقافات ،والتي أمدته بالرصيد الذي كان متكأ له في تحقيق ابداعه .

لقد بلغت العناية بالرسالة مستوىً عالٍ ؛إذ تعددت مسمياتها ،فقد عرفت برسالة الطول والعرض كما عرفت برسالة التربيع والتدوير، وكذلك سميت برسالة المفاكهات ؛وتعدد المسميات يكشف مدى عناية الدارسين واهتمام المثقفين بها.

كما تعددت طبعات الرسالة فكان الفضل في نشرها لأول مرة للمستشرق الهولندي (ج .فان فلوتن)ولكن المنية وافته قبل ان ينجز تحقيق الرسالة ؛فنشرها بعده (ج .م.دوجوج)من غير التعريف بها ،وذلك في عام ١٩٠٣في منشورات (tria opus cula leid)بعد ذلك ظهرت الرسالة في ثلاث طبعات شرقية معتمدة كلها على نسخة (فلوتن)، ولم تذكر سنة الطبع ،ومنشورات السندوبي سنة ١٩٣٣ م ،وبعد ذلك ظهرت طبعة الأستاذ طه الحاجري ،التي طبعت على نفقة الحاج محمد أفندي ساسي المغزي، وصدرت عن مطبعة التقدم .

ولعل أكثر النسخ دقة ،النسخة المقترنة بدراسة أدبية وتاريخية وبيلوغرافية مكتبية مطولة، هي نسخة الأستاذ (شارل بيلا) مدير قسم الدراسات الإسلامية في جامعة السار بون بباريس والأستاذ بمدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس ،والصادرة عن المعهد الفرنسي بدمشق عام ١٩٥٥ م ،وهي النسخة التي اعتمدنا عليها في هذا البحث الموسوم بـ (رسالة التربيع والتدوير للجاحظ (٢٥٥هـ) دراسة في الأفكار والصياغة).

واعتمد الأستاذ فوزي عطوي هذه النسخة ،فقام بنشر الرسالة محققة مع تقديم موجز لها وقد صدرت عن الشركة اللبنانية للكتاب في بيروت عام ١٩٦٩ م .

أما نشرة الأستاذ عبد السلام محمد هارون ضمن رسائل الجاحظ ؛فهي نشرة لفصول من الكتاب وقد صدرت طبعتها الأولى عن مكتبة الخانجي في القاهرة عام ١٩٧٩ م .

وهنالك نشرة صدرت عن دار الهلال في بيروت لرسائل الجاحظ في ثلاثة أجزاء وقدم لها وبوبها وشرحها علي أبو ملحم عام ١٩٩٩ م ونشرة أخرى لدار الكتب العلمية بشرح وتعليق محمد باسل عيون السود عام ١٩٩٩م

ب- نبذة مختصرة عن(أحمد بن عبد الوهاب)

اشتهرت رسالة التربيع والتدوير، وأشتهر معها احمد بن عبد الوهاب ،ولكن شهرته اقتصرت على الجانب الفني ،الذي رسمه الجاحظ له ،بينما طوى النسيان شخصية احمد بن عبد الوهاب الحقيقية ،وما تناثر في بطون المصادر لايقدم لنا إلا النزر اليسير عن معالم شخصيته الحقيقية .

فإذا رجعنا إلى المصادر العربية القديمة ،لا نجدها تذكر شيئا ذا بال عن هذه الشخصية ، اذ لم يكن من كبار الأدباء في عصره ،ولا هو من رجال الفكر والسياسة، وكل ما عرفناه ،أنه من جملة كتاب الخليفة الواثق المغمورين(١) ،غير أن المصادر تذكر لنا شيئا عن صالح بن عبد الوهاب وقصة الجارية التي غالى في ثمنها للخليفة الواثق ،مما كان سبباً في نقمة محمد بن عبد الملك الزيات - وزير الخليفة الواثق وصديق الجاحظ - عليه ،ويرى بعضهم أن ابن الزيات قد أوعز إلى الجاحظ بان يهجو أخاه انتقاما من صالح بن عبد الوهاب (٢) ،وهذا الرأي لا يعلل شدة الجاحظ وقسوته على احمد بن عبد الوهاب في النقد والسخرية ما لم يكن احمد بن عبد الوهاب هو نفسه من تصدى للجاحظ واخذ بملاحاته .

وإذا سلمنا بصحة هذه الواقعة ،فلا يكون هناك ثمة علاقة أو صلة مباشرة بين الجاحظ واحمد بن عبد الوهاب بل العكس من ذلك ؛فأن هذه الرواية تثبت أن أصل هذا الصراع كان بين صالح بن عبد الوهاب ومحمد بن عبد الملك الزيات ، أذن ما الأمر الذي ادخل الجاحظ بينهما ؟ ولِمَ توجّه الجاحظ بالرسالة إلى احمد بن عبد الوهاب ،وكان الأولى إن يوجهها لأخيه (صالح) الذي كان سبباً في نقمة الوزير وحقده ؟لاسيما أن الجاحظ لايخشى أحدا كما هو معروف ،لاسيما أن كان الوزير إلى جانبه .

مثل هذه التساؤلات ،تكشف عن علاقة كانت بين الجاحظ ،واحمد بن عبد الوهاب، لم تفصح عنها المصادر ،وليس كما تزعم هذه الرواية أنه ليس هنالك علاقة أو صلة بين الجاحظ وأحمد بن عبد الوهاب (٣).،أو انه اتخذ احمد بن عبد الوهاب هدفا رمزيا لعرض أفكاره التاريخية والعلمية المختلفة (٤).

ويبدو أن صلة الجاحظ بأحمد بن عبد الوهاب وان لم تكن عميقة تكشفت عن كثير من المعالم في شخصيته مما أثارت حفيظة الجاحظ نحوه وتأليفه رسالة التربيع والتدوير ؛ ومن أهم هذه المعالم الانتماء القبلي، اذ كان ابن عبد الوهاب ينتسب إلى قبيلة يمنية فيقول (ولم ازعم انك رجل بمأمن لولادة لك ...)(٥)، وقد صرح باسم القبيلة وهي (بجيلة)حين يقول :(لئن رميتني ببجيلة لأرمينك بكِنانة ....)(٦) .

وكان مذهب احمد بن عبد الوهاب الرفض والقول بالتشبيه والبداء يقول الجاحظ : (فأن أردتّ أن تعرف حقّ هذه المسائل وباطلها وما فيها خرافةٌ وما فيها محال وما فيها صحيح وما فيها فاسد فألزم نفسك قراءة كتبي ولزوم بابي وأبتدئ بنفي التشبيه والقول بالبداء واستبدال بالرفض الاعتزال)(٧) واعتقد انه



كان من غالية الشيعة ومن الهشامية (٨) لان هذه الفرقة هي التي تقول بالتشبيه من بين الفرق الشيعية الأخرى .

فضلا عن ذلك، لابد أن يكون احمد بن عبد الوهاب شخصية نابهة، لها مكانة بين الرجال، ووزنها بين الكتاب ،وأهمية في الدولة ، وإلا فكيف يناصب الجاحظ ،رجلاً من عامة الناس ويطيل السخرية به، شفاء لنفسه، وضيق صدره، وغضب قلبه ؟

فرجل كهذا لم يكن من عامة الناس، بل كانت له مكانته المرموقة في الدولة، وله أحباءه الذين يدافعون عنه، ويستند هو إليهم عند اشتداد الكروب، من وجهاء الدولة ،وأولي الشأن فيها(كصالح بن علي)(٩)،قائد قوات الدولة العباسية، وأمير من أمرائها ، وكذلك (سليمان بن وهب)(١٠)،(وجعفر الخياط)(١١)، يقول الجاحظ :(لان نهضت بصالح بن علي لأنهضن بأحمد بن خلف (١٢)، وبإسماعيل بن علي (١٣)، ولأن صلت علي بسليمان بن وهب لادمغنك بالحسن بن وهب(١٤)،ولئن تهت علي بمنادمة جعفر الخياط، لأتيهن عليك بمجالسة وهب الدلال (١٥).)( )

وتتناثر في ثنايا رسالة التربيع والتدوير أشارات تصف جوانب من شخصية احمد بن عبد الوهاب كما تكشف عن علاقة الجاحظ به وهي إشارات لأتقدّم صورة كاملة إلا أنها تفصح عن بعض معالم هذه الصورة .

فالجاحظ تابع ابن عبد الوهاب زمنا طويلا، ليحدد بتلك المتابعة مدى معرفته وعلمه ،فيقول: (وقد رأيتك زماناً تحتج بالنعمان بن المنذر وبضمرة بن ضمرة وبمّجاعة بن مرة وبمّجاعة بن سعر وبأوفى بن زُرارة وبعبد الله بن الجارود... وبأعلام كفاك بهم أعلاما)(١٦)،يتضح مما تقدم أن احمد بن عبد الوهاب ،ميال إلى رواية الأخبار، والحديث،واتسعت روايته عن أناس شهد لهم الجاحظ بالفضل والعلم .

وتكشف اعتذارات الجاحظ لأحمد بن عبد الوهاب ،عن جوانب أخرى من شخصيته فهو ذو مكانة ونفوذ في السلطة، مما دفع الجاحظ إلى أن يقول : (وأن كنت قد أخطأت الطريق وجاوزت حد المقدار فما كان ذلك عن جهل بفضلك ولا إنكار لحقك) (١٧) .ولهذه المكانة التي تقلدها ابن عبد الوهاب، نرى الجاحظ يطلب الصفح منه ،والعفو (وبعد فمن وهب الكبير فكيف يقف عند الصغير؟ ومن لم يزل يعفو عن العمد، كيف يعاقب على السهو؟. ولو كان عظم قدري هو الذي عظّم ذنبي ،لكان عظم قدرك ،هو الذي شفع لي ،ولو استحققت عقابك بأقدامي عليك لحسن ظني بك)(١٨) .ويؤكد هذا القول على أن طلب العفو، لا يكون إلا من صاحب الفضل القادر على إنزال العقاب، وفي هذا ما فيه من تأكيد لمنزلة احمد بن عبد الوهاب .

ويضيف الجاحظ في اعتذاراته ما يكشف عن الكثير من صفات شخصية لابن عبد الوهاب وعن مكانته وقدرته وأنه صاحب سلطةٍ ونفوذٍ سواء في ذاته أم في صلاته بكبار رجال الدولة ،وفي اعتذار الجاحظ له ما يكشف عن أن دافعه في السخرية منه يدور في دائرة الفن ولا يتعداه إلى سواه وهو القائل : (ومن صفاتك أن تفعل ،ومن صفاتنا أن نصف ... فسبحان من جعلاخلاقك وفق اعراقِك ... وفعلك ارفع من وصفِنا)(١٩).

المبحث الأول:

محفزات تأليف رسالة التربيع والتدوير .

اجتمعت أسباب عدة حفزت الجاحظ لتأليف رسالته ،واهم هذه الأسباب :

١- اثارة أحمد بن عبد الوهاب لغيظ الجاحظ :

احتل احمد بن عبد الوهاب منزلة رفيعة، ومكانة عالية بين رجال الدولة العباسية ،في عهد الواثق، وذلك شيء يثير الغيظ في نفس الجاحظ ،فقد كان الجاحظ يرى نفسه هو المقدم على كل الرجال والشخصيات بل حتى على الخليفة نفسه ، إذ يروى انه (دخل احدهم على الجاحظ فسأله عن حاله ،فقال له الجاحظ :سألتني عن الجملة فأسمعها مني واحدا واحدا،حالي أن الوزير يتكلم برأيي ،وينفذ أمري ،ويواتر الخليفة الصلات إلي ،واكل من لحمة الطير أسمنها والبس من الثياب ألينها ،واجلس على اللين الطري ،واتكئ على هذا الريش ،ثم اصبر على هذا حتى يأتي الله بالفرج ،فقال له الرجل :الفرج ما أنت فيه ،فقال :بل أحب أن تكون الخلافة لي ،ويعمل محمد بن عبد الملك الزيات بأمري ،ويختلف إلي ،فهذا هو الفرج)(٢٠).

وسواء أكان ذلك من الجاحظ على سبيل الفكاهة والمرح، أم على سبيل الاعتزاز بالنفس ،فمن المؤكد أن الجاحظ كان طموحا وذا آمال كبيرة ،ومن الصعب على من كان بهذا المستوى من الطموح،أن يرى رجلاً أحط منزلة منه يأخذ مكانه،عند محمد بن عبد الملك الزيات وكثير من الأمراء والوزراء ،ممأثار غيظ الجاحظ ،فسلط عليه قلمه ،ليكشف عوار شخصه وضحالة فكره وقلة علمه.

٢- موقف الجاحظ من الكتاب الرسميين :

كان الجاحظ يكره الكثير من هذه الطائفة ويهزأ بهم ،وكان احمد بن عبد الوهاب واحدا من هؤلاء الكتاب، ولعل سبب هذا الكره ما يراه الجاحظ في هذه الطبقة من التفاهة وقلة الفطنة وسوء الأداء وضحالة التفكير والجهل والحمق ونحو ذلك من الصفات التي كانت سببا في انحطاط هذه المهنة الرفيعة (٢١) .

ويتضح موقف الجاحظ في حديثه عن الكتّاب عامة ومن احمد بن عبد الوهاب خاصة ،في حديثه عنهم إذ تميز هذا الحديث بنكهة مميزة وبأسلوب لاذع وساخر لا يستطيع القارئ معه أن يمسك نفسه عن الضحك على هؤلاء الكتاب والسفه من أعمالهم .

لقد وقف الجاحظ متأملا لهم ،مدركا بثاقب بصيرته ما وراء مظاهرهم الجميلة من قلوب خبيثة ملئها الحقد والنفاق ،فأخذ يكشف عن سرائرهم فعراهم وكشف عيوبهم وهشاشة تصنعهم للفهم وإبداءهم الظرف ،ولم يترك لهم سوى صفة واحدة هي جمال الوجوه والمظهر وهي الصفة التي تخص النساء دون الرجال فيقول عنهم (خلق الوجوه ،وشمائل معشوقة وتظرف أهل الفهم ،ووقار أهل العلم ،فإن ألقيت عليهم الإخلاص وجدهم كالزبد يذهب جفاء ،وكنيته يحرقها اللهيب من الرياح ،لا يستندون من العلم إلى وثيقة ،ولا يدينون بحقيقة ،أخفر الخلق لأماناتهم ،واشرهم بالثمن الخسيس لعهودهم ،الويل لهم مما كتبت أيديهم ،وويل لهم مما يكسبون)(٢٢).

لقد امتلأ قلب الجاحظ بكره هذه الفئة ،فأنزل عقوبته بهم :تشهيراً وسخرية وهزءاً وتهكماً ، فقد آلمته شعوبيتهم وأساليبهم السقيمة في الكتابة ،كما أزعجته حكاياتهم ودسائسهم ومؤامراتهم ، وما أشاعوا عنه من مثالب وأكاذيب وضاق بذلك الجو الخانق ،المملوء بالتنافس والحسد والكذب والنفاق والافتراء .

لقد أثر الجاحظ حياة الحرية على جو الكتّاب والدواوين وذلك يوم ولاه الخليفة المأمون ديوان الرسائل ،فاستعفي من هذا المنصب الخطير بعد ثلاثة أيام ،وسلط عليهم لاذع لسانه وفضح خططهم وقارن صناعتهم بصناعة غيرهم من أصحاب المهن ومنهم القصابون ،وفضح لؤم نفوسهم المليئة بالخبث ،ولم يتردد الجاحظ من ذكر من يذم أخلاقهم وسلوكهم من الكتاب فيقول :(إن سنح الكتابة بني على أنه لا يتقلدها إلا تابع ولا يتولاها ألا من هو في معنى خادم ولم نرَ عظيما قط تولى كفاية نفسه أو شارك كاتبه في علمهِ)(٢٣).

ولم يغفر الجاحظ لسهل بن هارون تأليبهُ الكتاب عليه وقوله: (إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان أفل نجم الكتاب)فعاقبه الجاحظ في كتاب (البخلاء)وصب جام غضبه عليه (٢٤).



وكون أحمد بن عبد الوهاب من هذه الطائفة ومن منتحلي العلم ومن أنصاف المثقفين كما وصفهم الجاحظ ومن مدعي الجمال والحسن هو الذي دفع الجاحظ إلى ذلك الهجاء الغريب والعجيب في رسالة التربيع والتدوير .

٣- تطاول أحمد بن عبد الوهاب وملاحاته :

إتصل الجاحظ بمحمدِ بن عبد الملك الزيات، ونشأت بينهما صداقة وطيدة ،ثم حدث بينهما جفوة ؛ وربما كان السبب في هذه الجفوة وقيعة أوقعها احمد بن عبد الوهاب بينهما قد تكون وشاية ألقاها بينهم ؛ لاسيما أن احمد بن عبد الوهاب قد اتصل بابن الزيات وتقرب منه ،وربما انتهز ابن عبد الوهاب هذه الفجوة، وأطلق لسانه في الجاحظ ليزداد قربه من الوزير وهذا ما يعلل قول الجاحظ وذكره للمراء وأسبابه ونتائجه فيقول :(والمراء من أسباب الغضب واقربَ ما يكون الرجُل من غضب الله إذا غضِب)(٢٥)، ثم يذكر بعد ذلك الأقوال التي ذُكر فيها ألمراء ومنها قول عثمان: (إذا كان لك صديقٌ فلا تُماره ولا تُشاره)) (٢٦).

وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن احمد بن عبد الوهاب، كان يماري في سبيل الحلول محل الجاحظ في مجالس الوزير، ويبدو أن محمد ابن عبد الوهاب قد تاه بنفسه ،واغتر بمكانته ،وبمنصبه ،ولم يتورع عن مطاولة الوزير ومخا شنته ،ومناظرته في المجالس الحافلة بكبار الحكام ؛ يقول الجاحظ في رسالته :(وكيف اطمع في تقويمك بعد اللجاج وقد منعتنيه قبله ؟ وكيف أرجو إقرارك جهراً وقد أبيتَه سِراً ؟ وكيف يرجو خيرك ،من يراك تطاول أبا جعفر وتخاشنه وتنافره وتراهنه ثم لا تفعل ذلك إلاّ في المحافِل العظام وبحضرة كِبار الحكّام ثم تستغرب ضحِكاً من طمَعه فيك وتعجّب الناس من مجاراته لك)(٢٧).

وربما ذكر ابن عبد الوهاب الجاحظ نفسه، وكثر ذلك منه ،حتى ضاق به الجاحظ على طول اصطباره عليه ،فألف رسالته الساخرة، وجعلها طويلة بمقدار صبره عليه ؛وفي هذا يقول الجاحظ (فلما طال اصطبارنا حتى بلغ المجهود منّا ... رايت ان اكشف قناعه ... واعرف الناس مقدار جهله)(٢٨) وفي هذا دليل على أن ملاحات كانت بينه وبين ابن عبد الوهاب ، وان ابن عبد الوهاب تاه بنفسه على الجاحظ ،وفخر بفضائله وحط من قدر الجاحظ ،فما كان هم الجاحظ إلا الرد عليه رداً حاسماً عبر رسالةٍ مليئةٍ بالمفاكهات ،سخر فيها من خصمه وهزأ فيه أيما هزء.

٤ـ الخلاف المذهبي:

دان الجاحظ بالاعتزال واتخذه مذهبا كلاميا مؤكدا من خلاله أن العقل الصحيح هو أساس التشريع، الأمر الذي دعاه إلى أن يتحرر من أي قيد حتى قيد الانتماء المذهبي ؛إذ خالف الجاحظ المعتزلة في عدة مسائل ،جعلته ينفرد بطريقة اعتزالية خاصة به سميت بالطريقة الجاحظية (٢٩).

ولم يجد الجاحظ غضاضة من مخالفة شيوخ المعتزلة وأساتذته كالنَظام(ت ٢٣١هـ) ،بل كان يسخر ويتندر من بعض إعلامهم كأبي الهذيل العلاف(ت ٢٢٦هـ) .(٣٠).

وإذا كان هذا رأي الجاحظ مع رجال مذهبه فكيف يكون مع مخالفيه في المذهب ومنهم احمد بن عبد الوهاب ؛الذي وصفه الحاحظ أنه من الرافضة المشبهة (٣١).

لقد جعل الجاحظ هذه المخالفة المذهبية مادة لسخريته فتعدى الأقوال إلى القائل ،فعاب مذهبه في مواضع كثيرة من الرسالة منها قوله :(وحتى لو كنت إمام الرافضة لقتلت في طرفة ولو قتِلت في طرفة لهلكت الأمة لأنك رجل لا عقب لهو والإمامة اليوم لا تصلح في الإخوة ولو صلحت في الإخوة كانت تصلح في ابن العم :ثم أنها دنت من الأرحام بعد ذلك فصارت لا تصلح إلا في الولد وفي هذا القياس أنها بعد أعوام لا تصلح إلا ببقاء الإمام نفسه إلى آخر الأبد ، وهذا علة أصحاب المناسخة ،وأنت رافضيّ ولم يكن هذا عندك فأهدِ إليّ ألان من خالص التوتياء كما أهديتُ إليك باب التناسخ !)(٣٢).

ولم يقتصر الجاحظ في رسالته على هذا الكلام بل كان يبث انتقاداته لمذهبه في أثناء الرسالة بصورة ساخرة كقوله :(وما الحُجة في الرّجعة والقول في المناسخة؟ ومن أين قلتم بالبداء؟ ومن أين جعلتم العلم فعلاً والزيادة فلتا ؟)(٣٣).وغير ذلك .

وبعد أن يعيب مذهبه وضالة تفكيره ،يحيله إلى سبيل الرشاد وفق رؤية الجاحظ فيقول له (وقد سألتُك ... فإن أردتَ أن تعرف حقّ هذه المسائل وباطلها... فألزم نفسك قِراءة كتُبي ولزومَ بابي وابتدئ بنفي التشبيه والقول بالبداء واستبدل بالرفضَ الاعتزال)(٣٤) .

المبحث الثاني:

(الصورة الفنية)

مع إقرار الجاحظ بكل هذا الفضل لأحمد بن عبد الوهاب، فأن هذا لايمنعه من أن يرصد في شخصيته شيئاً من التعالي وقدراً من الجدل والخوض في ضروب المعرفة من غير علم .

وأيا كان ابن عبد الوهاب ،فقد أتت رسالة التربيع والتدوير في سياق موقف الجاحظ من أدعياء الكتابة ،الذين طالما تناول الجاحظ صنيعهم بالنقد وسلوكهم بالسخرية ،وكان احمد بن عبد الوهاب واحدا منهم ؛إذ كان كاتباً للخليفة الواثق ،وقد رآه دعياً على الفن ،فجعله الجاحظ بهذه الرسالة عبرة للمعتبرين ،وخلد صورته الممسوخة على مر السنين ؛عندما أحالَ هذه الحقيقة إلى فنٍ وكان من عمق هذا الفن أنه طمس كثيراً من الحقيقة أو مزج كلاً منها بالأخر فلا نكادُ نميز بين الحقيقة والصورة الفنية الساخرة التي رسمها قلمُ أديبٍ استطاع تحديدها وتوضيح معالمها وزواياها وجوانبها بالكلمات .

استهل الجاحظ رسالته برسم الصورة الهزلية الضاحكة لجسم احمد بن عبد الوهاب ،فيمد يده ويشوه في خطوط طوله وخطوط عرضه ،ويجعل خاصرته مستفيضة وبطنه أمامه ممتدة ورأسه كرة هائلة فيقول : (كان احمد بن عبد الوهاب مُفرط القِصر ويدّعي أنه مفرط الطول وكان مربّعاً وتحسِبهُ لِسعة جفرتهِ واستفاضة خاصرته مدوّراً ، وكان جعد الأطراف ،قصير الأصابع وهو في ذلك يدّعي السّباطة والرّشاقة وأنه عتيق الوجه أخمص البطن معتدل القامة تام العظم ،وكان طويلُ الظهر قصيرُ عظم الفخذ ، وهو مع قصر عظم ساقه يدعي أنه طويل البادّ رفيع العماد عاديّ القامة عظيم الهامة قد أعُطىّ البسطة في الجسم والسّعة في العلم وكان كبير السّن متقادم الميلاد وهو يدّعي أنه معتدل الشباب حديث الميلاد)(٣٥).

ويخاطبه في موضع آخر هازئا به متهكما بشكله الذي صوره له فيقول: (وفيك أمران غريبان وشاهدان بديعان، جواز السكون والفساد عليك وتعاور النقصان والزيادة إياك فجوهرك فلكي وتركيبك ارضي ، ففيك طول البقاء ،ومعك دليل الفناء ،فأنت علة للمتضاد وسببٌ للمتنافي وما ظنّك بخلقٍ لا تضرّه الإحالة ولا يفسده التناقض)(٣٦)،وهنا تظهر سخرية الجاحظ في شكل احمد بن عبد الوهاب وتكوينه الجسمي وتبدو مهارة الجاحظ وبراعته في توليد المعاني الساخرة ؛ وذلك بتحليل المعنى الواحد أو الفكرة المحددة إلى معان وأفكار جزئية ثم يعود إلى تناول تلك الجزئيات وتضمينها والتفريع عليها

فالفكرة الأساسية تدور حول الصورة العامة لأحمد بن عبد الوهاب



كما صوره الجاحظ (قصيراً ومربعاً)غير أن الجاحظ لا يترك هذه الصورة على هذا التحديد بل يولد من هذه الصورة الواقعية صوراً متخيلة ثم يبني عليها صورةً أخرى .

ويستمر الجاحظ بتوليد هذه الصور من الصورة الأساسية وهو يرى أن احمد بن عبد الوهاب بإمكانه أن يدعي بأنه (طويلٌ ورشيقٌ) لان هذا الادعاء لا يخالفه فيه احد وهو جالس أو راكب وأن كان الخلاف ينشأ عندما يقوم أو يضطجع فيقول :(فأنت - أبقاك الله - في يدِك قياسٌ لا ينكسر ،وجوابٌ لا ينقطع، ولك حدٌ لا يفل، وغربٌ لاينثنى، وهو قياسك الذي إليه تنسب ،ومذهبك الذي إليه تذهب، أن تقول: ومالي أن يراني الناس عريضاً وأكون في حكمهم غليظاً وأنا عند الله طويلٌ جميل ،وفي الحقيقة مقدود رشيق ،وقد علموا- أبقاك الله - إن لك مع طول الباد راكباً طول الظهر جالسا ولكن بينهم فيك اختلاف ،وعليك لهم إذا اضطجعت مسائل)(٣٧).

ويخرج لنا الجاحظ هذه الصورة الفكاهية اعتماداً على حوارهِ وأسلوبهِ الجدلي الذي يبتعد فيه عن الواقع إلى السفسطة والارتكاز على المغالطات والاعتماد على فكرة الأوساط ،فإذا زاد الجسم طولاً أو نقص قصراً ،أو اتسع عرضاً أصابته مساوئ الإفراط والتفريط ،واستطاع الجاحظ أن يمثل بصاحبه وان يشوهه ما استطاع من تمثيل وتشويه (٣٨).

فترى الجاحظ يقلب حقيقة الصورة ،ويغير خطوطها ،ويبدل الألوان، ويعكس الأوضاع ،فيجعل الظل حقيقته ،وجوهره ومعدنه، الذي يعلمه الله ويجهله الناس، ويجعل أصله وحقيقته، ومنظره الخارجي ،الذي يظهر به أمام الناس، إطلالة ورسما مشوها لحقيقته يبرز فيه قصره ،وغلظة واستدارة ،والناس لا يستطيعون أن يتبنوا جماله وكماله ؛لأنهم يدركونه بحواسهم التي تخدعهم فتظهر لهم قصره ،وعوار هيئته ،وأن كانت حقيقته خلاف ذلك فهو طويل جميل مقدود ممشوق .

فالتهكم واضح ،والسخرية منبثة في زوايا ،هذا القول والتصوير الهزلي، موجود في تضاعيف هذا الكلام ،وقد ألطف الجاحظ الصنعة عن طريق الإلماح إلى مفاهيم فلسفية ومسائل خلافيه وقضايا علمية(٣٩) .

أن الجاحظ فنان السخرية والتهكم، يوظف طاقاته ليقنعنا بأسلوب المغالطة ،فيخرج القبيح بصورة الحسن، والحسن في صورة القبيح ،كما استعمل التبادل بين الأشياء ،فأرانا الأصل والصورة متعاكستي الوضع ،وهو بذلك يرسم لنا صورة تجمع المتناقضات والأضداد، وهو في كل ذلك يقدم الأدلة، فتراه يقيم المناظرة ا،لمخترعة بينه وبين خصمه حول أفضلية الطول والعرض وهي مناظرةٌ تضفي على سخرية الجاحظ الواقعية وعلى اتهاماته المصداقية ،وهو فوق ذلك يريد أن يعطي خصمه حق الدفاع عن نفسه (عن طوله وعن عرضه) قال الجاحظ : (ولم أزل أراك تقدم العرض على الطول وتزعم أن الأرض لم



توصف بالعرض دون الطول إلا لفضيلة الطول على العرض ...وقلت لولا فضيلة الطول على العرض لما وصف الله سبحانه وتعالى الجنة بالعرض دون الطول إذ يقول جل ثناؤه : (جنة عرضها السموات والأرض)(٤٠).

وبعد أن أكد الجاحظ على لسان أحمد بن عبد الوهاب فضيلة العرض ،مستدلاً على ذلك بالشواهد ،رأى أن يفند ما ذهب أليه خصمه فقال : (فهذه براهينك الواضحة ،ودلائلك الظاهرة، ولو لم يكن فيك من الرضي والتسليم ومن القناعة والإخلاص ،إلا أنك ترى أن ما عند الله خير لك مما عند الناس وأن الطول الخفي أحب إليك من الطول الظاهر لكان في ذلك ما يشهد لك بالإنصاف ويحكم لك بالتوفيق وأنا – أبقاك الله- أتعشق إنصافك كما أتعشق المرأة الحسناء)(٤١).

ثم يحتج الجاحظ على خصمه بنقض شبيهاته والرد على أدلته ،وهو يرى بأنه لو سلّم لخصمه بعرضه لكان ذلك من أسباب كماله ولم يؤد به إلى النقصان ،وهذا ما ترفضه صورته فقال : (وجدنا الأفلاك وما فيها ،والأرض وما عليها على التدوير دون التطويل ،كذلك الورق والتمر والحبُ والثمر والشجر وقلت: والرمح وان طال فأن التدوير قائمٌ فيه موصولاً ومفصلاً ، والطول لا يوجد فيه إلا موصولاً وكذلك الإنسان والحيوان، وقلت: ولا يوجد التربيع إلا في المصنوع دون المخلوق، وفيما أكره على تركيبه دون ما خلي وسوم طبيعته ،وعلى أن كل مربع ففي جوفه مدور فقد بان المدور بفضله وشارك المطول في حصته)(٤٢).

وعلى هذا النحو يجري الجاحظ مناظرة في ظاهرها رحمة، وفي باطنها العبثُ المنطقي ،والتلاعب العقلي ،فقد أبى إلا أن يوقع خصمهُ وينزل عليه سهام السخرية من كل حدب وصوب وأن يطعن بعقله وجسمه بكل دليل وشاهد فكان محصلة ذلك أن رسم تلك الصورة الفنية المترددة بين تفضيل القصر أو الطول ،وبين الحكم على جسمه بالقصر أو الطول ،وبين جمعهما في جسم واحد، وكأن أحمد بن عبد الوهاب قطعة من الطين يمدها تارة ويطويها تارة أخري ، وأحيانا يكورها ويدورها وطورا يعطيها البسطة في الطول والعرض، أو يجعلها قصيرة طويلة معا، وإن عجز المصور أو الرسام أو النحاة أن يجمع احدهم القصر والطول لجسد شخص في صورةٍ واحدة وأن تظافروا جميعاً ،فأن الجاحظ استطاع بملكته البيانية وقدرته اللغوية أن يجمع بقلمه بين المتناقضات ،بل بين المحالات في شخص أحمد بن عبد الوهاب .

كيف لا وقد أحال خصمه إلى لعبة يعبث بها كيفما يشاء، وهو في كل ذلك يرتكز على صنعته التصويرية ويتكئ على أدواته البيانية التي تنتج العجيب وتكون الغريب .



ثم يتبع الجاحظ نهجا آخر في رسم الصورة الهزلية الساخرة، فتراه لا يتناول عيوب خصمه ونقائصه بل يتجاوز هذا ويجمل القبيح ويحسن المشوه ويرسم لخصمه صورة مثالية فائقة الحسن لكنها ساخرة عن طريق التضاد وقلة الحقائق فلم يكن غرضه المدح ولا قصده كشف مفاتن الجسم ومحاسنه ولا رشاقة القدِ واعتدالهِ وإنما الهدف التشكيل وإعطاء السامع صورةً رائعة الحسن لما لا حسن فيه فإذا شاهد الأصل أو كان يعرفه كانت السخرية اللاذعة والتهكم الموجع ، وبذلك يتحقق للهزل معناه عن طريق تمايز المفارقة جاء في رسالة الجاحظ : (قد علمت – حفظك الله – انك لا تحسُد على شي حسدك على حُسن القامة وضِخم الهامة وعلى حَوَر العين وجودة القد) (٤٣) ويزيد الجمال تفصيلا فيقول : (فأما حَوَرالعين، فقد انفردتً بحسنه وذهبتَ ببهجته وملحه ،إلا ما ابانك الله به من الشُكلة ، فإنها لاتكون في اللئام ولا تفارق الكرام ...فأما سواد الناظر وحُسن المَحاجِر وهَدَبُ ألاشفار ورقة حواشي الأجفان، فعلى أصل عنصرك ومجاري أعراقك)(٤٤)،ويضيف الجاحظ على ذلك فيقول :(ولو لم يكن ألا أنا لا نستطيع أن نقول في الجُملة وعند الوصف والمِدحة :هو أحسن من القمر ، أو أضوأ من الشمس ، وأبهى من الغيث ... كأن عنقه أبريق فِضة ،وكأن قدَمه لِسان حية ، وكأن عينه ماويّة ،وكأن بطنه قِبطيّة ، وكأن ساقه بُردية ، وكأن لسانه ورَقة ، وكأن أنفه حدُ سيف ، وكأن حاجبه خطً بقلم ، وكأن لونه الذهب ، وكأن عوارضه البَرَد ، وكأن فاه خاتم ، وكأن جبينه هِلال ... وكيف لا يكون كذلك ،وأنت الغاية في كلّ فضل ،والنِهاية في كل شكل !)(٤٥).

فالجاحظ هنا قد بَلغ في وصف خصمه مبلغاً عظيماً، فزاد في حسنه وجماله حد الكمال وهو في هذا يستعمل أسلوب عكس صفاته وقلب ملامحه حتى ليظن القارئ أن صاحبه قد تبدل شكله وتغير منظره ، وأن له هيئة أخرى غير تلك التي عهدناها فيه،وكأن الجاحظ لم يكتف بالتلاعب بجوارح خصمه ، فإذا به يتلاعب بحواس القارئ يريه ما يرى ويوجه حواسه إلى ما يراه حسنا كما يوجهها إلى ما يراه قبيحا ، يقول الجاحظ : (ولو لم يكن فيك من العجب إلا أنك أولَ من تعبّدَه الله بالصبر على خطأ الحسّ وبالشكر على صواب الذهن، لقد كنت في طولك آية للسابلين وفي عرضك مناراً للمضلين)(٤٦).

ثم يتابع الجاحظ تصويره لأحمد بن عبد الوهاب ويرفعه فوق حدود الكمال ،ويمنحه أكثر من طاقته ويحمله فوق ما تحمله أخلاقه وخلقه حتى يجعل من هذه الرفعة عبء على خصمه ،إذ هي تخفي حقيقته التي غطاها هذا الجمال المُعار، ونفسه التي قد علاها الكمال الطارف وإذا بخط الرفعة والكمال خط نقص يفصح عن العيوب ويدل على المخازي (٤٧)،وهذا ما أراده الجاحظ عندما أراد رسم هذه الصورة ؛ يقول: (فسبحانَ من جعل أخلاقك وفق أعراقِك وفعلك وفق قولك ،ومن جعل ظنك أقوى من يقيننا ،وفِراستك أثبت من عياننا ، وعفوك أرجح من جُهدنا ، وبَداهتك أجودَ من تفكرنا ،وفعلك أرفعَ من وصفِنا ، وغَيبتَك أهيب من حضور السادة ،وعتبَك أشدّ من عِقاب الظَلَمَة)(٤٨).



ثم يطرح عليه أسئلة ظاهرها التعجب أو التقرير، وباطنها السخرية والتهكم ،وفيها يرفع أحمد بن عبد الوهاب فوق قدره، وينزله منزلة فوق الجميع؛ قدراً وعلماً وعملًا وجمالاً وكمالاً فيقول : (وهل لك خصم في العلم ،أو نِدٌ في الفهم ، أو مُجار في الحِلم ، أو ضدٌ في العزم ؟وهل يتبلّغك الحَسَد أو تضرّك العين ؟وهل تسمو أليك المُنى أو يطمع فيك طامع ؟ ... وهل يطمع فاضلٌ أن يفوقك ...؟وهل زين البليغ ألا مدحك ؟ ...وهل للطّلاب غرضٌ سِواك ؟ وهل للغواني مَثَلٌ غيرك ؟...وهل في الارض حليم سواك ؟وهل أظلت الخضراء ذا لهجتٍ أصدق منك ؟ وهل حملت النِساء أجلَّ منك ؟)(٤٩).

وهكذا يتوالى الاستفهام لاستيعاب كل ما يتصل بخصمه من ظاهرٍ وباطنٍ وخلق وعلم وعمل وبلاغة وفصاحة وجمال وكمال ،فيرفع خصمه فوق قدره ،فلا يشركه في جماله القمر في ليلة تمامه، ولا في فضله المقربون الأخيار ولا الملائكة الأبرار ، فالحسن قبح أذا قيس بحسنه والقبح حسن إذا كان فيه (والناس وأن قالوا في الحسن: كأنه طاقة ريحان، وكأنه خوط بان ، وكأنه قضيب خيزُران ، وكأنه غصن بان ،وكأنه رُمحُ رُدَيني، وكأنه صفيحة يمانية ،وكأنه سيف هُندُوانيّ، وكأنها جانّ ،وكأنها جدلُ عِنان، فقد قالوا: كأنه المشتري، وكأن وجهه دينارٌ هِرقِليّ، وما هو إلا البحر، وما هو إلا الغيث ،وكأنه الشمس ، وكأنها دارةُ القمَر ،وكأنها الزُهرة، وكأنها دُرة ،وكأنها غَمامة، وكأنها مهاة)(٥٠).

لقد صار أحمد بن عبد الوهاب النموذج في كل ما يتصل بمقومات الجمال ؛فإذا كانت مقاييس الجمال في الطول فهو نموذجه وإن كانت في حسن الاستدارة فنموذجه أحمد بن عبد الوهاب ، كذلك هو نموذج الجمع بين المتناقضات ،ولا يزال الجاحظ يضيف إلى هذا النموذج حتى خرج به إلى حدَ المحال ،وصيره إلى حدَ الوهم ،فلما تجاوز به الحدَ انقلب به إلى الضد فإذا البناء منقوص ، والصفات كلها تتغير.

والجاحظ في توصيفه الساخر يوظف كل طاقاته البيانية لا سيما نموذج سخريته القائمعلى التشبيه وجعل المشبه به معرضا للجمال، كما أخذ الجاحظ يقلب خصمه ويدوره ويتناوله من جميع الجوانب والزوايا وفي مختلف الأحوال حتى استطاع أن يستقصي عنه أوجه الشبه جميعها (الحقيقي ،والتخيلي ،والحسي، والعقلي)(٥١)، ثم أوضح الفروق بين طرفي التشبيه وبالغ حتى قلب التشبيه ،فبات المشبه مشبها به وأضحى المشبه به مشبها، وجعل الفرع أصلا ، والأصل فرعا بجعل المشبه في قمة لا تدانى في حسن الصورة وبهاء الطلعة ،وكمال خلق، وصفاء لون، وكريم جوهر وهي امتيازات تفرد بها المشبه دون المشبه به ،وهيهات أن يصل إليها ؛ فكان التشبيه بالقمر .

يقول الجاحظ : (وقد علمنا أن القمر هو الذي تُضرب به الأمثال ،ويشبه به أهلُ الجمال وهو-مع ذلك يبدو ضئيلاً نِضوًا ويظهر مُعوَجّاً شَختاً ،وأنت أبداً قمرٌ بدرٌ وبحرٌ غَمر ،ثم هو مع ذلك يحترق في



السرار ،ويُتشاءَم به في المحاق ،ويكون نحساً كما يكون سعداً، ويكون نفعاً كما يكون ضراً ... وأنت دائمُ اليمن ،ظاهرُ السعادة ،ثابت الكمال ، شائع النفع ، تكسو من أعراه وتكنّ من أشجبه، وعلى أنه محق حُسنه المحاق ، وشأنه الكَلف ، وليس بذي توقُّد واشتعال، ولا خالص البياض ولا متلألئ، يعلوه الغيم ويكسوه ظِلَ الأرض ثم لا يعتريه ذلك إلا عند كماله وليلة فخره واحتفاله ،وكثيراً ما يعتريه الصُفارُ من بُخار البحار، وأنت ظاهر التمام ، دائم الكمال ،سليم الجوهر ،كريم العُنصُر ،ناريّ التوقُّد ،هَوائي الذهن دُرّيّ اللون ، روحانيّ البدن! ...وعلى أن ضياءه مستعار من الشمس، وضياؤك عاريّة عند جميع الخلق: فكم بين المعير والمستعير ،والمتبين والمتحيَر، وبين العالم وما لا حسن فيه! فلا زالت الأرض بك مُشرقة، والدنيا معمورة، ومجالس الخير مأهولة، ونسيم الهواء طيّبا وتراب الأرض عبقا!)(٥٢).

إن تلاعب الجاحظ بالتشبيه على النحو السابق، إنما هو تلاعب فني بنموذجه ،إذ أخذ المشبه من المشبه به أجود ما فيه وأبدعه ،فلما تكامل له ذلك ارتقى بالمشبه إلى درجة خيالية بعيدة عن الواقع، مخالفة لطبيعة البشر بل لطبيعة المخلوقات

ويبالغ الجاحظ فيطول عمر أحمد بن عبد الوهاب، بل بلغ بخصمه تجاوز إبليس في طول البقاء فيقول : (ولستَ – جُعلت فداك ـ كإبليس ،وقد تقدّم الخبر في بقائه إلى انقضاء أمر العالم وفنائه، ولولا الخبر لما قدّمته عليك ولا ساويته بك، وانت أحق منه بعذر، وأولى منه بستر)(٥٣).

لقد بلغ الجاحظ أعلى حدٍ في سخريته عندما مد حبل حياة خصمه إلى غير غاية، حتى لا نعرف بدايته لأنه ضارب في أعماق الزمن ومجاهيل الحقب، مع ذلك يزعم ابن عبد الوهاب أنه معتدل الشباب حديث الميلاد، وهذا يسلمنا إلى التناقض الواضح بين صورته التي يراها الجاحظ وما يزعمه أحمد بن عبد الوهاب نفسه.

وهذا ضرب من التصوير الهزلي ،إذ يقول الجاحظ : (من هذا الذي يَعدّ من السنين ما تَعدّ وبلغ من الكِبَر ما بلغت ؟ ... أنك لا تِعُدُ عُمرَ نوح عمراً ولا النجومَ يوماً ، وانك قد فُتَ التأريخات ،وجُزت حسابَ الباورات واستقللتَ الأحقاب ،... فيا قعيد الفلك، كيف أمسيتَ؟ ويا قوة الهُيولى كيف أصبحتَ؟ ويا نَسرَ لُقمان كيف ظهرت؟ ويا أقدم من دَوس ويا أسن من لُبد ، ويا صَفِيّ المشتَر ويا صاحب المُسنَد)(٥٤).

إنَ سخرية الجاحظ هنا بلغت مبلغا تجاوز حدود المنطق والخيال، بل وحدود الفن ، فأبن عبد الوهاب بان ـ بموهبة الجاحظ ـ أقدم من أبيه ومن قبيلته ،ومن نوح ومن آدم (عليهما السلام) وإذا تقرر له هذا القِدم فأنه يبدو شبابا متجددا ، وبذلك استطاع الجاحظ أن يتلاعب بخصمه وأن يقدم لنا نموذجا ضاربا في أعماق التاريخ، وأمرٌ كهذا يبيح للجاحظ أن يجعله يجالس أفلاطون وأرسطو ويناظرهما ويصاحب نوحا



في سفينته، ويعرف الإنس منذ خلقوا ويشاهد الجن قبل أن يحجبوا وكأنه ليس أنسانا ولا جنا ،أنه خلق آخر أقدم من خلقهم، فيقول : (ولم أزعم أنك رجل يَمان لولادةٍ لك في قحطان: كيف، وأنت أقدمُ من قحطان ومَعَدّة بن عدنان ومِن القرون التي خبّر الله عن كثرتها وعن آبائها وأجدادها ، ولكنّك بالهوى والنصرة ولأنهم كانوا لك أحشاماً وصنيعة)(٥٥).

وإذا تقرر قدمه الضارب في مجاهيل الزمن وأعماق التاريخ فأن الجاحظ يجدها فرصة علمية مؤاتية إذ يطرح عليه من الأسئلة والألغاز التي حار العلماء في الاتفاق على معرفة تاريخها أو الوقوف على حقيقتها، فيقول له : (حدثني كيف رأيت الطوفان؟ ومتى كان سَيل العَرِم ؟ ومُذ كم مات عُوج ؟ ... أين عاد وثمود ؟ وأين طسم وجَدِيس ؟ وأين أميم ووَبار ؟وأين جُرهم وجاسم أين كانت الحجارة رطبة ... ومذ كم ظهرت الجبال ونَضَبَ الماء عن النَّجف؟ وأي هذه الأودية أقدم أنهر بَلخ أم النيل أم الفرات أم دجلة أم جيحان أم سَيحان أم مهران)(٥٦).

ويستمر الجاحظ في طرح الأسئلة، وكل ما أشكل عليه من أمور تتصل بشخصيات أو أحداث تاريخية أو ظواهر طبيعية أو أجناس من الطير والحيوان لا يعرف كنهها إلى غير ذلك مما ألغز وأشكل (٥٧).

ثم يزيل غرابتنا مما طلبه منه فيقول له : (وقد يُعجل الخَرفُ إلى أحدثَ منك سناً ويُبطئ على أطول منك عمراً بل من هذا الذي يعدّ مَن السنين ما تعدّ وبلغ من الكِبر ما بلغت ؟)(٥٨).

وإذا تقرر لنموذجه كل هذا العمر، فأنه يحار عند الدعاء له (ما أقول؟ أقول: (رفعك الله) ، وقد رفعك ، أم أقول: ـ جمّلك الله – وقد جمّلك ، أم أقول : ـ عمّرك الله – وقد عمّرك ولكن أقول :وهل أنطق إن نطقتُ إلا رجيعاً وأقول وما أقول إلا لغواً)(٥٩).

ثم يقرن الجاحظ ابن عبد الوهاب بمشاهير الرجال والأعلام، ويجعله ندا لهم ،بل يرفعه عليهم فيثبت له الجدارة والاستحقاق على الجميع فضلا وعلما وجودا وحلما وبطولة وشجاعة، وهي صورة لم يشأ الجاحظ أن يرفع خصمه ويعظمه بل أراد الهزأ به والسخرية منه ، وتجسيم عيوبه وأخطائه من خلال منطق المفارقة بين صورة الواقع الذي رصده الجاحظ لأحمد بن عبد الوهاب وهو الجهل والمراء والادعاء والغرور .

وأما الصورة فقد وضعته على نقيض حقيقته ،الأمر الذي أحاله إلى منظر ساخر فيه مع الطرافة قلب للحقائق ورؤية للأشياء ،وهي معكوسة الأمر الذي أمد الصورة بالقوة وأبلغها الذروة .



لقد كان باعث الرسالة هو اعتداد ابن عبد الوهاب بنفسه وبعلمه، حتى تطاول على العلماء ،ووصل به الأمر إلى أن يخاشن الجاحظ نفسه ، وهذا ما جعل الأخير يكشف - بعمق سخريته من خصمه – عمق جهله بما ادعاه (وكان ادعاؤه لأصناف العلم ،على قدر جهله بها ، وتكلفه للإبانة على قدر غباوته ، وكان كثير الاعتراض لهجاً بالمراء شديدَ الخلاف كلفا بالمجاذبة ... وكان قليل السّماع غُمرًا وصُحفياً غُفلًا ، لا ينطق عن فكر ، ويثق باوّل خاطر ... يعُدّ اسماءَ الكُتب ولا يفهم معانيها ، ويحسُد العلماء من غير أن يتعلّق منهم بسبب ؛ وليس في يده من جميع الآداب إلا الانتحال لاسم الأدب)(٦٠).

وبعد أن حدد الجاحظ مواصفات خصمه وبضاعته العلمية، يتعجب الجاحظ كيف يقدم من كانت هذه خصائصه على مناظرة العلماء والتطاول عليهم ، وربما فكر في مجاراة الجاحظ ومناظرته ففاجئه الجاحظ بالرد عليه وقال له: (وأشهدُ بعدُ أنك تُخاشن عمرو بن بحر الجاحظ وتعاقله ثم تظارفه وتطاوله وتُغني مع مُخارق (٦١) وتنكر فضل زُرزور (٦٢) وتستجهل النظّام ، وتستبرد الأصمعي ، وتستغبي قيس بن زهير (٦٣) وتستخف الأحنف بن قيس(٦٤) وتبارز أبا الحسن علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) ثم تخرج من حدّ الغلبة إلى حدّ المِراء، ومن حدّ الأحياء إلى حدّ الموتى)(٦٥) . والجاحظ لا يصرح بذكر عيوب خصمه بل يتخذ الأسلوب الموحى والعبارة المعبرة طريقاً للسخرية والتهكم وكذلك اتخذه طريقاً لكشف العيوب وكان على رأس تلك العيوب عند أحمد بن عبد الوهاب هو جهله بالبديهيات وقد وظف الجاحظ هذا الجانب في تشويه خصمه وخصوصاً أن الجاحظ من الأدباء والعلماء الذين يجلون العقل ويقدسونه ويحقرون الجهل ويمقتونه ويرونه أقبح الصفات ،ويزيد المسألة قبحاً ادعاءه العقل وهو خلاف ذلك ، وهذا ما أثار حفيظة الجاحظ نحو خصمه ودعاه لكي يفضح حقيقة أمره .

والجاحظ بعد أن فرغ من تقريع خصمه وكشف جهله بالبديهيات فضلاً عن التفاصيل لا يهمه جواب خصمه ،بقدر مايهمه النيل منه ،فيقول : (وقد سألتك وإن كنت لا تحسن من هذا قليلاً ولا كثيراً ،فإن أردت أن تعرف حق هذه المسائل وباطلها ، وما فيها محال ، وما فيها صحيح ، وما فيها فاسد فألزم نفسك قراءة كتبي ولزوم بابي ، وأبتدئ بنفي التشبيه والقول بالبداء واستبدل بالرفض الاعتزال)(٦٦).

وهنا تظهر غاية الجاحظ وهي الهزء به والزراية بعقله وعلمه ووضعه في إطار البلادة والبلاهة والجهل وجعل صورته بالغة السخرية لمن يدعي العلم وهو فقير منه ولمن يغامر بذكائه وهو بليد غبي، ولمن تطاول على أستاذه ويخاشنه وهو أقل من أن يكون تلميذاً على كتبه زيادة على أن يكون طالبَ علمٍ في حضرته .

لقد أوضح الجاحظ الطريقة التي بها أذل خصمه ومسخه مسخاً وهي طريقة الأسئلة التي يلقيها عليه ويريد جوابها منه ثم التشهير به إذ جعل كل من يلقاه يسأله إياها ويخرجه بها ليكشفه أمام نفسه وأمام الآخرين .

ولم يشأ الجاحظ أن يجعل أسئلته في فن واحد ،بل وزعها على فنون متعددة ومعارف متنوعة تكاد تغطي ثقافة عصره ،وهو بهذه الأسئلة يكشف عن موسوعية معارفه وثراء فكره وعمق ثقافته في مقابل ثقافة خصمه وعقم معرفته مع إدعائه لما هو فقير منه .

وتتحول أسئلة الجاحظ إلى ألغاز،وهو بذلك لا يختبر ثقافة خصمه، وإنما يريد أن يكشف غباءه وجهله وحيرته وعيّه في مشهد فني جديد يقول الجاحظ : (وأحتمل لي مسألة واحدة ولا أعود وسأجعلها طويلة ولا أزيد كم بين ود وسوع ويغوث ويعوق وبين مناة والعزى والغبغب وعائم وبين مناف ونهم وسعد ومرحب ؟ ومذ كم نكح أساف نائلة ؟ ومذ كم مسخا في الكعبة ، وخبرني عن برهوت وبلهوت ...)(٦٧)ثم يسترسل الجاحظ في إنهياله على ابن عبد الوهاب بأسئلته الغريبة والهازلة ويختم سيل أسئلته المفحمة بمجموعة من حكم الفلاسفة صاغها على شكل أسئلة (٦٨)،حيرت خصمه وكشفت مدى سعة علم الجاحظ واطلاعه .

وهذه الأسئلة لم يكن هم الجاحظ منها افحام خصمه لأنه أفحمه وإنما أراد أن يضعه - بعد افحامه – أمام حجمه الحقيقي وأن يزيح عنه غشاوة إدعاء العلم والعناد والمكابرة ويقف به على سنن الأولين من اعلاء قيمة التواضع والاتصاف بالغلق والثبات .

المبحث الثالث :

فن الكتابة عند الجاحظ

اكتسب فن الكتابة في عصر الجاحظ سمات فنية وخصائص أسلوبية متميزة، وأصبح لهذا الفن كتّاب مختصون ، ونحن عندما ندرس المميزات الفنية لرسالة الجاحظ (التربيع والتدوير)نقف على مدى التطور الذي حصل في شكل الرسالة الأدبية ومضمونها في عصر الجاحظ ،وما ابتكره من أساليب خصَّ بها هذا الفن وموضوعات متعددة عالج فيها الكثير من المسائل التي لم يتطرق إليها من سبقه .

وبذلك فإننا لانجانب الصواب إذا ما حاولنا تطبيق الصيغ الشكلية المعتادة لدراسة الخصائص الفنية للرسائل الأدبية على فن الرسائل عند الجاحظ ؛ ذلك أن الجاحظ جعل من هذا الفن معرضا لضروب لا تحصى من أفكاره وخواطره وملاحظاته، بحيث ندر أن نجد موضوعا في عصره دون أن يدبج فيه رسالة أو كتابا أو مقال (٦٩) ، وينسج حوله مجموعة من الأداء على شكل مقالات ومحاورات ومفاخرات وخصومات وقصص وحكايات ونوادر وطرق ومناقضات إلى غير ذلك وكان هذا الأسلوب بداية حقيقية لنشأة أنواع أدبية جديدة في الأدب العربي، كالمقامة والقصة والحكاية والرواية وغيرها .

وعلى ذلك فإننا سنحاول الكشف عن مميزات وخصائص فن الكتابة عند الجاحظ في رسالة التربيع والتدوير ؛ وقد انقسمت هذه المميزات إلى مميزات وخصائص صياغيّة ، وخصائص فكرية ، وكل هذه الخصائص هي مما اعتنى به الجاحظ في أسلوبه الفني وطريقته في الكتابة التي امتازت بتقطيع الجمل إلى فقرات كثيرة مقفاة ومرسلة وزيادة البيان والوضوح وكثرة الاستطراد ومزج الجد بالهزل وتحليل المعنى واستقصائه وتحكيم العقل والمنطق ولاعتراض بالجمل الدعائية ....الخ (٧٠).

ومن الدراسة الفنية على مستوى الصياغة والأفكار لرسالة التربيع والتدوير للجاحظ ،تبرز لنا خصائص عدة أهمها : تلخيص مفهوم الرسالة بمقدمة ، والاعتراض بالجمل الدعائية، واستعمال المصطلحات، والاستطراد، والتضمين، وكذلك الجانب الموسيقي ، والجانب الجدلي، والجانب النقدي، والجانب القصصي والجانب التهكمي الذي يسيطر على الرسالة ويتداخل مع بقية المحاور وفيما يأتي دراسة لهذه الخصائص.

١- **تلخيص مفهوم الرسالة :**

اتسمت رسالة التربيع والتدوير كمعظم رسائل الجاحظ بخصيصة فنية تتمثل بـ(مقدمة) ذكر فيها الغرض والموضوع الذي يتناوله فيها، فأصبحت هذه المقدمة تلخيصاً للرسالة ، وهذه الميزة الفنية هي نزعة علمية تشبه مقدمات الكتب والرسائل الجامعية المعاصرة .

٢- **الإكثار من الجمل الدعائية :**

يفتتح الجاحظ رسالته بالدعاء لأحمد بن عبد الوهاب فيقول : (أطال الله بقائك وأتم نعمته عليك وكرامته لك ، قد علمت - حفظك الله - ...)(٧١).

وهذه السمة طغت على كتابات الجاحظ عموماً؛ إذ كان يبدأ كتاباته دائماً بدعاء ؛ سواء أكان مؤيداً لمن يكتب أم معارضاً ؛ وقد يتفنن بهذا الدعاء فيأتي به على شكل مدح أو هجاء .

ومثلما يصدر الجاحظ رسائله بالحمد والدعاء فأنه يبثه في متنها، ومن ذلك قوله في رسالته التي أكثر فيها من استعمال هذا الأسلوب حتى بلغ عدد المرات التي استعمله فيها إلى تسع وستين مرة، وجعله وسيلة لتأكيد سخريته وتهكمه وهجائه المقذع لأحمد بن عبد الوهاب ، فيقول: (وليس حسنك - أبقاك الله - بالحسن الذي تبقى معه توبة أو تصح معه عقيدة ... أو يهذبه خوف ؛ وهو- أعزك الله - شيءٌ ينقض العادة)(٧٢).

فالمديح هنا من النوع الذي ساقه الجاحظ في صورة الهجاء والتهكم ، وهو بذلك يوظف الدعاء لغايةٍ تدور في هذين الفلكين أي المدح والهجاء .

وكثيراً ما كان يستعمل هذا الأسلوب ، وينوع في عباراته الدعائية ،من قبيل : جُعلت فداك وأعزك الله ،وأبقاك الله ،وحفظك الله ،وعافاك الله، وعافانا الله بك ووأطال الله بقائك وومد الله في عمرك وأيدك الله ... إلى غير ذلك من هذه العبارات التي لم تخل منها رسالة من رسائل الجاحظ أو أي كتاب من كتبه .

ومثلما يفتتح رسالته بالدعاء ويبثه في متنها فأنه يختم به فيقول: (وهب الله لنا ولك الإنصاف وأعاذنا وإياك من الظلم ،والحمد لله لما هو أهله ،وهو حسبنا ونعم المعين)(٧٣).

٣- الإكثار من استعمال المصطلحات :

وهذه أحد الخصائص الصياغية البارزة في رسالته ؛ إذ باتت مملوءة بالمصطلحات التي بثها في أسئلته التي كان يطرحها على ابن عبد الوهاب ، وكان أكثر هذه المصطلحات علمية؛ إذ كان الأسلوب العلمي واضحاً ومصطلحاته متنوعة وكثيرة ، كشفت الأسلوب العلمي الواضح كما كشفت جهل ابن عبد الوهاب وأظهرت سعة علم الجاحظ وموسوعيته .

وتعددت تلك المصطلحات وتنوعت، فشملت الأديان والتاريخ والجغرافيا والطب والرياضيات والموسيقى والحيوان والألوان والسحر والقافية ... وغيرها .

وكل كاتب يؤثر الأسلوب العلمي ،فأنه يعلي من شأن العقل وأهميته ، يقول الجاحظ : (والعقل- جعلت فدلك – أطول قدرة من العين وأحوج للشحذ من السيف وأفقر إلى التعهد وأسرع إلى التغير ،أدواؤه *أقتل وأطباءه أقل وعلاجه أعضل ؛فمن تداركه قبل التفاقم أدرك أكثر حاجته ،ومن رامه بعد التفاقم لم يدرك شيئا من حاجته ،ومنة أكبر أسباب العلم كثرة الخواطر ثم معرفة وجوه المطالب)(٧٤).

فهو هنا يبدو مفكرا وعالما بكل الظواهر وهذا هو جوهر الأسلوب العلمي الذي يعتمد استعمال مبدأ السببية وتقرير العلة.

فالجاحظ يدور في رسالته في دائرة مهمة تتمثل في احترام العقل الذي حاول أن يرفع من قيمته ويحرره فأصبح بذلك أول الدعاة إلى إقحام باب الإيمان بالعقل والفكر الحر انطلاقا من قيمة العقل والتجربة في تصحيح ما يصل ألينا ،ولا نبتعد عن الحق إذا قلنا إن الجاحظ من رواد الشك وإعمال العقل في تراثنا العربي الإسلامي ؛وفتح بذلك الباب لمن جاء بعده من أمثال الفارابي وابن سينا والمتنبي والمعري ...وغيرهم (٧٥).

٤- الاستطراد.

ومما يصادفنا في رسالته إكثاره من الاستطراد والإطالة ؛إذ لجأ الجاحظ في رسالته إلى هذا الأسلوب الذي يعد من النزعات الأسلوبية البارزة في كتابات الجاحظ عامة

والاستطراد كما يعرفه العلوي هو (أن يشرع المتكلم في شيء من فنون الكلام ثم يستمر عليه فيخرج إلى غيره ثم يرجع إلى ما كان عليه من قبل)(٧٦) وهذه الظاهرة أدت إلى تطويل الرسالة وجعلها تأخذ مساحة واسعة،بلغت المائة والخمس صفحات (٧٧) وقد بناها حول فكرة موجزة هي أن ابن عبد الوهاب



يدعي العلم والجمال، ويريد الجاحظ أن يثبت انه قبيح وجاهل ،فراح الجاحظ يولد المعاني حول هذه الفكرة ويفلسف موجبات الجمال ومقاييسه مشككا فيها تارة وجاعلا لصاحبه أنواعا مختلفة من الهيئات والصور المتناقضة ،وهو في كل ذلك يكرر المعنى نفسه الذي انطلق منه في البداية وهو- كما ذكرنا – أن محمد بن عبد الوهاب يدعي الجمال وهو قبيح ويتخلق بصفات العلم وهو جاهل عي اللسان ،ويؤكد هذه الحقيقة فيقول : (فأنت والله يا أخي تعلم علم الاضطرار ،وعلم الاختيار ،وعلم الإخبار أني لم أر أشد عقلا وأظهر حزما وألطف كيدا وأوزن حلما، وأخف روحا ،وأبعد غورا ،وأجمل وجها، وأنصع طرفا، وأكثر ملحا وأنطق لسانا ،وأحسن بيانا ،واجهر جهارة ،وأحسن أشارة منك ،وأنت رجل تشدو من العلم وتنتف من الإخبار وتموه نفسك وتغر من قدرك وتتهيأ بالثياب وتتنبل بالمراكب وتتحبب بحسن اللقاء ،ليس عندك إلا ذلك فلم تزاحم البحار بالجداول والأجسام بالإعراض وما لا يتناهى بالجزء الذي لا يتجزأ..)(٧٨).

وهذه الخصيصة امتاز بها الجاحظ في كتاباته ونحن نعلم أن عبد الحميد الكاتب هو أول من أطال الرسائل وتوسع في شكل الرسالة ؛ولكن ما قام به الجاحظ يفوق كثيرا ما نزح أليه عبد الحميد الكاتب وابن المقفع في كتاباتهما السياسية والاجتماعية ،ولعل هذا هو الذي أدى به إلى الخروج عن صلب الموضوع في بعض الأحيان، والبحث عما يدعم به آرائه ،ويعزز به أفكاره ،وهذا ما ولد عنده ظاهرة الاستطراد التي كانت محدودة في هذه الرسالة نوعا ما ،ألا أنها تبرز كثيرا في كتبه الموسوعية كالحيوان والبيان والتبيين .

والإطالة في الرسائل ولدتها عوامل عدة أهمها : النضج الفكري والعلمي للأمة وبذلك أصبح الكاتب مفكرا يلقي أفكاره فيما يكتب، زيادةعلى ذلك أن عصر الجاحظ كان عصر فلسفة ومنطق وعصر جدال ومذاهب ،كما كان عصر مجون ولهو وعصر نزاعات دينية واجتماعية وفكرية ،كل ذلك يدفع الكاتب إلى التعمق في تناول هذه الأمور ويعالجها فيما يكتب بمنطق المفكر، لا بمنطق المنشئ المترسل؛ ونتيجة لذلك جاءت رسالة الجاحظ طويلة ،حشاها بالكلام وأشبع موضوعاتها الجزئية بالبحث والتفصيل .

وقد تنبه الجاحظ إلى طول رسالته وعلل سبب ذلك بقوله:(وقد تعجب ناس من إطالتي ومن كثرة مسألتي ،وتجبي من تعجبهم أشد ، وإذا كان من إنكارهم أعظم ،ولو رغبوا في العلم رغبتي ورأوا فيه مثل رأي وكانوا قرؤوا كتابي أليك في شبيبتي وأيام شباب رغبتي لاستقلوا من ذلك ما استكثروا ولا يقتصروا ما استطالوا :فإن أذنت لي أظهرته وأن تجد علي أعلنته ..)(٧٩).

ورب سائل يسأل أن كان الاستطراد سمة من سمات أسلوب الجاحظ في رسالة التربيع والتدوير ألا ينافي هذا الأسلوب العلمي والجدلي الذي حاول الجاحظ إتباعه في هذه الرسالة ؟ويكفينا الجاحظ الرد ويجيبنا



على ذلك ويرفع هذه الشبهة عن أسلوبه فيقول : (جعلت فداك 'أنما أخرجك من شيء إلى شيء وأورد عليك الباب بعد الباب ،لان من شأن الناس ملالة الكثير واستثقال الطويل ،وإن كثرت محاسنه وجمت فوائده ،وإنما أردت أن يكون استطرافك للتالي قبل أن ينقضي استطرافك للماضي ،لأنك متى كنت للشيء منتظرا وله متوقعا كان احظي لما يرد عليك وأشهى لما يهدى أليك وكل منتظر معظم ،وكل مأمول مكرم ؛كل ذلك رغبة في الفائدة وصبابة في العلم وكلفا بالاقتباس، وشحا على نصيبي منك، وظنا بما أؤمله عندك ،ومداراة لطباعك ،واستزادة لنشاطك ، ولأنك على كل حال بشر ،ولأنك متناهي القدرة مدبر)(٨٠).

ومع ذلك فأن هذه الصفة على ما هي عليه من مبالغة، لم تنل من جمالية رسائل الجاحظ، ولم تفقد منه في الترسل عنصر الإبداع والتأثير ،وتلك ميزة أختص الجاحظ بها دون غيره من كتاب الرسائل .

وصفوة القول أن نزعة الإطالة ولدتها تلك الظروف ،التي سادت عصر الجاحظ وأبرزها النزاعات الدينية وما نتج عنها من خصومات وجدل حول مسائل كلامية برز فيها المعتزلة الذين أدعوا (أن الكلام لهم دون سواهم)(٨١).

٥ ـ التضمين

ومن الخصائص الصياغية في رسائل الجاحظ التضمين وهو: (أن تضمن كلامك بكلام غيرك)(٨٢).

فالجاحظ كثير الاعتماد على هذه الظاهرة ،وقد تنوعت مصادر التضمين عنده ،فلم يقتصر على تضمين الكلام الإلهي، ولا على تضمين كلام الرسول والخلفاء والشعراء ،بل تعدى ذلك إلى تضمين الأمثال والحكم والمقولات وغيرها ،فأصبح هذا الاستشهاد واسعا وأتخذه الجاحظ لنفسه مذهبا في مؤلفاته ومنها رسالة التربيع والتدوير التي أكثر الجاحظ فيها من التضمين حتى كان يغطي في بعض الأحيان فقرة تامة كقوله : (جعلت فداك ،قال رسول الله ــ صلعم ـ:"كاد البيان أن يكون سحراً " وقال : "إن من البيان لِسحرا" وقال عمر بن عبد العزيز وسمع رجلاً يتكلم بكلام بليغ عجيب لطيف رقيق: "هذا- والله - السِحرُ الحَلال "؛ وقال الناس لِذي المكر والخِلابة ولِذي الرفق والتأني: "ما هو إلا ساحر " و" قد سحر بكلامه " وقالوا للمرأة "ساحرةُ العينين "وقد ذكر الله السحر في القرآن وأخبر عن هاروت وماروت وخبّر عن(النفاثات في العُقَدِ)، وقال الناس : "لَهو أقبح من السحر " إذ أرادوا نفس المعنى المشبه به والمعنى المحمول عليه والسحر نفسه وما الذي اشتقت منه هذه الأمثال)(٨٣).

ويبدو أن الجاحظ يتفنن في تناول تلك الشواهد لكي تخدم الموضوعات التي يتطرق إليها لدعم حجته واثبات فكره ،إلا أن المسألة أخذت طابعا آخر أدى إلى أن يتهم وينقد لاستعماله هذه الطريقة .

فالباقلاني يرى أن ميل الجاحظ لهذه النزعة جعل كلامه (قريباً ومنهاجه مُعيبا ونطاق قوله ضيقاً حتى يستعين بكلام غيره ويفزع إلى ما يوشح به كلامه من بيت سائر، ومثلٍ نادرً، وحكمة ممهدة منقولة ، وقصة عجيبة مأثورة ، وأما كلامه في أثناء ذلك فسطوره قليلة وألفاظه يسيرة)(٨٤).

ويبدو أنّ الباقلاني كان معمما لهذه النزعة على كتب الجاحظ ورسائله ، وفي هذا الحكم تجني على أسلوب الجاحظ وآثاره الضخمة ، ويبدو أن وراء ه دوافع مذهبية وأسباب كلامية .

وقد أجاب الجاحظ نقاده بخصوص هذه المسألة في مقطع من رسالة كتبها إلى رجل مجهول قذفه بالسطو على كلام غيره وانتحاله لنفسه يقول فيها: (وزعمت أني أسرق الألفاظ ،وانتحل الكلام ، وكيف وأنا ابن البلاغة ،وأنا ترب الكتابة ،وأنا جهبذ المعاني)(٨٥).

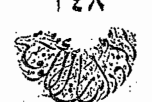
ويلحظ أن تفنن الجاحظ في تضمين الأحاديث الشريفة والتصرف بها ،أدى إلى اتهامه بوضع الحديث (٨٦).لا سيما أنه كان يقتبس النص ويتصرف به في أثناء رسالته بحسب ما يقتضيه الحال والغرض الذي ينزع إليه أو الموضوع الذي يعالجه والأمثلة كثيرة في رسالة التربيع والتدوير(٨٧).

٦- الجانب الموسيقي :

من الظواهر الصياغية السائدة في رسالة التربيع والتدوير ظاهرة التوازن والازدواج في أجزاء الفقرات وفواصلها وكذلك السجع والطباق والتكرار .

وتبرز ظاهرة التوازن والازدواج في أجزاء الفقرات بروزاً واضحاً في كتابات الجاحظ، وأرى أن هذه الطريقة كانت مهاداً لأسلوب السجع والاحتفال به في العصور التي تلت الجاحظ كما نرى ذلك عند بديع الزمان الهمذاني ،ولكننا نرى أنّ الجاحظ في بعض نصوصه يلتمس السجع كقوله : (ولولا الخبر ،لما قدمته عليك ولا ساويته بك وأنت أحق من عذّر وأول من ستّر ... ومتى تتعلم ما الجفر وتحكم ما في الزبر)(٨٨).

والسجع معيب عند الجاحظ إذا كان متكلفا (٨٩)،ولكن ما رأيناه في هذا النص من رسالته وفي نصوص أخر من رسالته جاء غير متكلفا وقصد به الجاحظ تحلية الأسلوب بهذا النوع الخفيف من السجع الذي تتعادل فيه الفقرات بصلات تتطلب قدرة خاصة على اختيار الألفاظ وتنسيقها (٩٠)،وقد تنبه الدارسون



إلى طغيان هذه الصنعة الفنية في نثر الجاحظ (٩١)فضلا عن استعماله أسلوب التقطيع الموسيقي الجميل الذي يتمثل بالتوازن .

والتوازن نوع من أنواع الإيقاع الموسيقي الذي يعطي المفردة مكانتها في السياق بحيث يكون صداها في آذان السامع وسهولتها في لسان القارئ وقد جسد الجاحظ لنا هذه الميزة خير تجسيد في رسالة التربيع والتدوير حين يقول: (فسبحان من جعل أخلاقك وفق أعراقك وفعلك وفق قولك ومن جعل ظنك أقوى من يقيننا ، وفِراسَتك أثبت من عِياننا ،وعفوك أرجح من جُهدنا، وبداهتَك أجودَ من تفكرنا وفعلك أرفع من وصفنا ، وغيبتك أهيب من حضور السادة ، وعتبك أشدّ من عِقاب الظلمة)(٩٢).

وهكذا يلتقي الجاحظ بجمال التوازن العام في هذا الأسلوب المزدوج الذي أتاح وفرة من التنغيم ، الأمر الذي جعل أدب الرسائل عنده على ما فيه من إطالة واستطراد حلواً لا يمله القارئ ، ولا يجد صعوبة في فهمه ،واستطاع الجاحظ بهذا الأسلوب أن يرقى بالنثر لمنافسة الشعر في جانب من الجوانب التي يتميز بها ألا وهو الوزن ولعل هذا هو ما جعل الأستاذ طه حسين يعجب من ارتقاء الفن النثري على يد الجاحظ وحلوله في المنزلة المتقدمة على الشعر في عصر الجاحظ فيقول : (فحدثوني أين الشاعر العربي الذي يستطيع أن يبلغ في الهجاء بعض ما بلغه الجاحظ ؟ وأين القصيدة التي تبلغ من الطول والتفنن ما بلغه الجاحظ)(٩٣).

وكثيرا ما كان الجاحظ يمزج الجانب الموسيقي بالجانب الجدلي وذلك عندما يريد إقناع قارئه عن طريق العقل والقلب ،فيخاطب عقله بجدله ويحرك شعوره بأسلوبه الموسيقي وفي ذلك تلازم بين المفكر والأديب في شخصه بل في أسلوبه ولا أدل على ذلك من الفقرة التالية في رسالة التربيع والتدوير إذ يقول : (كنت أتعجّب من كل فعل خرج عن العادة ، فلما خرجت الأفعال بأسرها من العادة صارت بأسرها عجبا ،فبدخولها كلها باب التعجّب خرجت بأجمعها من باب التعجّب ،وقد ذكر الله التعجب في كتابه ،وقد تعجّب رسول الله –صلعم- في زمانه وفي الناس يومئِذ الناقصُ والواقر والمشوب والخالص والمستقيم والمعوج ؛فقال الله تبارك وتعالى لنبيه (وأن تَعجب فعجبٌ قولهم)(٩٤)،وقال (بَل عَجِبتَ وَيَسخرَونَ)(٩٥) .وأعلم أنه لم يبق من المتعجّب لفاتك إلا نصيب اللسان ،ولا من المستمع الفاتك إلا حصّة السمع ،وأمّا القلوب فخاوية قاسية وراكدة جامدة لا تسمع داعياً ولا تجيب سائلاً وقد أغفلها سوء العادة واستولى عليها سلطان السّكرة فدع عنك مالست منه ، فإن ما أورده عليك شغلًا وهماً داخلاً)(٩٦).

فالجاحظ هنا يقيم أفعاله في صيغة جدلية تنقلب في قسم كبير من النص أسلوباً موسيقياً على ما يستحيل أن يقام عليه الدليل خاصة أحوال القلوب ،وهو بهذا يحاول إقناع العقول بمخاطبتها ويستميل العواطف



بتحريك القلوب ، وهذا ما نشاهده ونلمسه في هذه القطعة التي تتصف بوحدتها ،فضلا عن وجود عناصر التوازن والتساوي فيها، كما أن فيها من الاستعارات والتضمين والمحسنات البديعية مقدارُ الحاجة .

لقد أبدع الجاحظ في رسالة التربيع والتدوير في استعمال الجانب الموسيقي ،وكان أسلوب الطباق احد أركان هذا الجانب، فوظفه لغرض التلاعب بخصمه، وجعله يجمع المتناقضات ، معتمداً على مبدأ التلاعب بالألفاظ ،والاعتماد على منطق المغالطة ،الذي أدى إلى تجفيف شخصية بن عبد الوهاب ،وجعل صورته تبدو متداخلة تظهر بأشكالٍ متعددة ومتداخلة ،تظهر نزعة الجاحظ الساخرة والمنهكة بصورة بارزة (٩٧).

فالتهكم والسخرية عند الجاحظ تأتي عن طريق إيراد الهجاء في صورة المدح ،وهذا الأسلوب يجعل للسخرية بعداً عميقاً ومعنى مفرطاً ،من ذلك قوله : (أن تفتيت فالرشاقة والمِلح وإن تنسّكت فالرهبانيّة والإخلاص وإن ترزنت فثهلانُ ذو الهضَبات ما يتحلحل ، وطِباعك –جعلت فداك - طباع الخمر إلا أنها حرام وأنت حلال ، وجوهرك جوهر الذهب إلا أنك روح كما أنت ؛ وقد حويت خِصال الياقوت إلا ما زادك الله عليه وأخذت خصال المشتري إلا ما فضّلك الله به ...)(٩٨).

ويستمر في إلصاق الصفات العليا به إلا أنه في الحقيقة يسلبها منه كقوله : (فلك من كلّ شيء صفوتُه ولبابه وشرفهُ وبهاؤه ،وهل يضرُّ القمر نُباح الكلاب وهل يزعزع النخلة سُقوط البَعوضة عليها)(٩٩).

وبهذا الأسلوب أعطى الجاحظ سخريته عمقاً و فكاهةً ؛ إذ يجد القارئ صعوبة في تميز رأيه الواضح في بعض الأمور ،ويتلبس عليه الأمر من مراد الجاحظ :هل يريد تقريضه أم يريد هجاءه، وهذه النزعة تظهر براعة الجاحظ في التهكم والسخرية .

٧- الجانب الجدلي :

الجاحظ أديب فنان ،يوظف أدواته الفنية في السخرية والتهكم ،ومن تلك الأدوات الأسلوب الجدلي الذي كان واضحاً في رسالة التربيع والتدوير .

وهذه النزعة في الرسالة جاءت متعددة الوجوه فتارة يعتمد أسلوب المقدمة والنتيجة وتارة أسلوب المغالطة ، وقد برع الجاحظ في هذه النزعة في جميع مؤلفاته كيف لا وهو المعتزلي المذهب وصاحب طريقةٍ خاصة في الاعتزال سميت بالطريقة الجاحظية .



أما استعماله المقدمة والنتيجة ،فكان الجاحظ يبني كلامه على مقدمه ،يحاول أن يقنعنا بها ليسلمنا إلى النتيجة ،فهو قد بدا رسالته بمقدمة عرّفنا فيها بأحمد بن عبد الوهاب ،ووصفه لنا وصفا خرج منه بنتيجة ملخصها: (إن من كان شأنه هذا الشأن ،فهو يستحق من الرد أقواه ومن النقد ألذعه).

والجاحظ يوظف هذه المقدمة والنتيجة في الرسالة عند التماس العذر لشدة تهكمه وعلو هزئه وتطرف سخريته بابن عبد الوهاب فمن المقدمة قوله : (كان احمد بن عبد الوهاب مُفرط القصر ويدّعي أنه مُفرط الطول ... وكان جعد الأطراف ،قصير الأصابع ،وهو في ذلك يدعي السباطة والرشاقة ... وكان كبير السن متقادم وهو يدعي أنه معتدل الشباب حديث الميلاد ،وكان إدعاؤه لأصناف العلم على قدر جهله بها ... وكان كثير الاعتراض لهجاً بالمراء ،شديد الخلاف كلفا بالمجاذبة ... وكان قليل السّماع غُمّراً وصحفياً غُفلاً)(١٠٠).

وهذه مقدمة تأسيسية أطال فيها الجاحظ فلما انتهى منها جاءت النتيجة التي توافق مذهبه الجدلي الذي يخضع الأمور إلى البحث والمناظرة فيقول : (فلما طال اصطبارنا حتى بلغ المجهود منّا وكدنا نعتاد مذهبه ونألف سبيله رأيت أن اكشف قِناعه وأبدي صفحته للحاضر والبادي ، وسُكان كل ثغر وكل مصر ،بأن أساله عن مائة مسألة اهزأ فيها وأعرف الناس مقدار جهله وليسأله عنها كلّ من كان في مكة ليكفوا عنّا من غَربه وليردوه بذلك إلى ما هو أولى به)(١٠١).

ويبدو أن الجاحظ يصب جام غضبه على أحمد بن عبد الوهاب وما هي إلا فقرات حتى تتبدل الحال من التهكم والسخرية إلى الاعتذار والمزاح فإذا فرغ من الاعتذار ينتقل إلى وصف جمال أحمد بن عبد الوهاب ،ويمدحه بهذا الجمال الذي يفوق كل جمال حتى أن عمر بن الخطاب لو أدركه لصنع به أعظم مما صنع بنضر بن الحجاج وإن حسنه ليس بالحسن الذي تبقى معه توبة (١٠٢).

ثم يعود إلى الهزاء والسخرية فيسأله عن خداع المتنبئين ومخارق الكذابين، وعن مقالة الهند في نزول اليد وأقوال عبَدةَ الكيان وعبدَةَ الهيولى (١٠٣)، ثم نراه يختم الرسالة بمقالة عن العقل (١٠٤).

وفي كل ذلك نرى أن الجاحظ يعتمد منطق المغالطة وعلى أسلوب جدلي كثيراً ما كان الجاحظ يتجه إليه ؛وهذه النزعة طبعت أسلوبه لتأثره بالفلسفة اليونانية على ما نعتقد وولعه بمذهب السفسطائيين .

وهذا الشغف بمنطق المغالطة أو السفسطائية واضح أتم الوضوح في هذه الرسالة، فضلاً عن مؤلفاته الأخرى التي أكثر فيها من استعمال هذا الأسلوب ،ونقصد بذلك منطق التلاعب بخصمه فنراه يرفعه ويخفضه ،يمدحه ويذمه ،يجمله ويقبحه ؛ومثل هذه المغالطة تزيد من عمق السخرية والتهكم .



٨- الجانب النقدي :

لم ينس الجاحظ في رسالته أنه ناقد ،لذلك نراه يبين لنا مواقفه النقدية مراراً وتكراراً ،فيقول في نقده لأحمد بن عبد الوهاب: وكان قليل السّماع غمراً وصحفياً غفلاً لا ينطق عن فكر ، ويثق بأول خاطر، ولا يفصل بين اعتزام الغُمر ،واستبصار المحق ، يعدّ أسماء الكتب ولا يفهم معانيها ويحسد العلماء من غير أن يتعلق منهم بسبب ، وليس في يده من جميع الآداب الإ الانتحال لاسم الأدب(١٠٥) .

فالجاحظ يستعمل أسلوب الناقد الأدبي ،من خلال رصد العلل ومواطن الضعف ثم يكون الرد المفحم لسلوك خصمه .

ولم يغفل الجاحظ في نقده عن أن يوظف بعض المصطلحات العلمية والتي استوعبت معظم معارف عصره فنجده يوظف المصطلحات الفلسفية والكلامية والمنطقية واللغوية والبلاغية على نحو قوله: (وكيف يعرف السبب من لم يعرف المسبّب ؟ وكيف يعرف الوصل من يجهل الفصل؟ بل كيف يعرف الحجّة من الشبهة والغدر من الحيلة والواجب من الممكن والغفل من الموسوم والمعقول من الموهوم والمحال من الصحيح)(١٠٦).

وحين يتصدى للسخرية من هيأة خصمه، لا يسعفه إلا مصطلحات العروض والهندسة فيجيد حبكها ويحسن وضعها ،وبذلك يمد صورته بمعالم هندسية ،يقول : (ومن غريب ما أعطيت وبديع ما أوتيت أنّا لم نرَ مدوّاً واسع الجُفرة غيرك ولا رشيقاً مستفيض الخاصرة سواك إفأنت المديد وأنت البسيط وأنت الطويل وأنت المتقارب ، فيا شعرًا جمع الاعاريض ويا شخصاً جمع الاستدارة والطول !)(١٠٧).

ويعالج الجاحظ خصومته عبر قضية اللفظ والمعنى وهي القضية التي شغلته وشغلت نقاد عصره ،فيقول: (إن انقطع خصمك تغافلت وإن خرف ترققت غير منخوب ، ولا مُتشغّب ولا ... ثُقِل الحزّ وتُصيبُ المفصلُ وتقرب البعيد وتُظهر الخفيّ وتميّز الملتبس وتُخلص المشِكل وتُعطي المعنى حقه من اللفظ ،كما تعطي اللفظ حقه من المعنى ،وتُحبّ المعنى أذا كان حيّاً يلوح وظاهراً يصيح ، وتبغِضه إذا كان مستهلكاً بالتعقيد ومستوراً بالتعريب وتزعُم أن شر الألفاظ ما غرق المعاني وأخفاها وسترها وعمّاها ،وأن راقت سمع الغُمرَ واستمالت قلب الرّبض ،أعجب الألفاظ عندك ما رقّ وعذُب وخفّ وسهل ، وكان موقوفاً على معناه ،ومقصوراً عليه دون ما سواه لا فاضلٌ ولا مقصر ولا مشترك ولا مستغلق ،وقد جمع خِصالّ البلاغة واستوفى خلال المعرفة فذا كان الكلامُ على هذه الصفة. وألِفَ على هذه الشريطة لم يكن اللفظ أسرع الى السمع من المعنى الى القلب، وصار السامع كالقائل والمتعلم كالمعلم)(١٠٨).

إن أسلوب النقد الأدبي لم يفارق الجاحظ في مؤلفاته كلها، وبه يعالج قضاياه ،الأمر الذي يبرز روح الأديب ذو الحس النقدي القادر على توظيف أسلحته كلها في تحقيق هدفه، وهو السخرية والتهكم .

٩- الجانب القصصي.

لم يتقيد الجاحظ –الذي يأبى القيود-بأسلوب واحد في سخريته وتهكمه ، بل تنوعت أساليبه التي أخرجها من صندوق أدواته الفنية ،ليوجع بأحدها، ويغيظ بالثانية ويستهزئ بالثالثة ويضحك بالرابعة ،ويستمر إلى أن يصل إلى واحدة من بين تلك الأدوات وهو أسلوبه القصصي

أجاد الجاحظ فن القصة في كتاباته عامة ورسالة التربيع والتدوير خاصة ،وان لم يقدم لنا قصصا كالتي في كتابه الحيوان والبخلاء ،فانه يترك لنا مادةً قصصية بسيطة تخبرنا عن ميله لهذا الأسلوب ، وكان ذلك في معرض احتجاجه على قيمة المزاح والجد

كما لم يكتف الجاحظ بحديث النثر المطلق الدال على قيمة المزاح ، بل راح يزاوجه برواية الأخبار الدالة على ما يطمع أن يحتج عليه فيقول: (و قد كان زياد ، مع كلوحه وقطوبه يمازح أهلَه في الخلاء كما يجدّ في الملاء ، وكان الحجّاج مع عُتُوّه وطغيانه وتمرّده وشدّة سلطانه يمازح أزواجه ويرقص صبيانَه ؛ وقال له قائل : أيمازح الأمير أهله ؟ فقال :والله أن تروني ألا شيطاناً ،والله لربما رأيتني وأنا أقبّل رجلَ أحداهنَ !)(١٠٩).

والجاحظ لم يقتصر على توظيف هذه الأخبار القصصية في معرض الاستدلال والاحتجاج بل راح يمد الأسلوب القصصي مداً خفياً عبر رسالته كلها وذلك عبرأسئلته لخصمه وهي أسئلة تحملُ إشاراتٍ قصصيةٍ، كاشفة عن عناية الجاحظ بالقصة بوصفها وعاء فنيا فيقول: (من هذا الذي يعدّ من السنين ما تعدّ وبلغ من الكِبر ما بلغتَ ؟ وعند من يُدرك هذا العلم ألا عند النجوم أي عند إبليس الرجيم ؟ بل ، من يعرف ذلك إلا فاطر السماوات والأرض ؟ ... فيا قعيد الفلك كيف أمسيتَ ، ويا قوّة الهُيولى كيف أصبحت ؟ ويا نَسرَ لقمان كيف ظهرتَ ؟ ويا أقدم من دَوس ،ويا أسن من لُبد ، ويا صفيّ المشقر ، ويا صاحب المُسند)(١١٠).

فالجاحظ وإن اكتفى بهذه الإشارات القصصية ،فقد جعل خصمه قصة تحكيها طرائف سخريته ونوادر تهكمه ، فخلّد الزمان هذه القصة ،فطمس خيال حكيه حقيقة أحمد بن عبد الوهاب.



الخاتمة:

كشفت دراستنا لرسالة التربيع والتدوير جملة من النتائج كان أهمها :

١- على الرغم من أن هدف الجاحظ الأول من تأليف رسالة التربيع والتدوير، كان محاولة الحط من منزلة أحمد بن عبد الوهاب الاجتماعية والشخصية إلا أنه - في الحقيقة - قدم له خدمة جليلة ،كون الرسالة أخلدت ذكره وجعلته أحد أهم الشخصيات الأدبية الساخرة التي حفل بها الأدب القديم .

٢- كان للمنافسة والحسد دور كبير في تأليف هذا العمل الإبداعي كون الأخيرتان دفعتا الجاحظ إلى تأليف الرسالة ؛ رداً على منافسيه وانتقاماً منهم والحط من شأنهم .

٣- ساهم الخلاف المذهبي مساهمة فعالة في تأليف الرسالة، فالجاحظ أراد من خلالها بث آراءه الفلسفية والدينية، وأراد أن يفضح آراء مناوئيه ،ويظهر مثالبهم وسوء مذهبهم – كما يعتقد – الديني .

٤- سلط الجاحظ أدواته البلاغية، وما أوتي من قدرة جدلية على شخصية أحمد بن عبد الوهاب فمسخها وحولها من شخصية مؤثرة مشاركة في الأحداث ،إلى شخصية ممسوخة هزلية ليس لصاحبها همٌ ،سوى الاعتداد بالنفس والتحدث عن المحاسن .

٥- تداخلت الصورة الحقيقية لأحمد بن عبد الوهاب مع الصورة الفنية التي رسمها الجاحظ وهذا التداخل يكاد يكون عصياً عند التمييز بين الصورتين .

٦- تعد صورة أحمدبن عبد الوهاب الابتكار الأول لما سمي لاحقا بأدب المقامة الذي ظهر على يد بديع الزمان الهمذاني، ومن بعده الحريري.

٧- استعمل الجاحظ أسلوبي الجدل والحوار والاعتماد على المغالطة وفكرة الأوساط مع استعمال التضاد بين الحين والآخر لرسم وتحريف ما يشاء في صورة بطله ؛فهو يجري مناظرة في ظاهرها رحمة وفي باطنها العبث المنطقي والتلاعب العقلي فجعل صاحبه جامعاً لشتى المتناقضات الجيدة والرديئه .

٨- تعد رسالة التربيع والتدوير من الرسائل الأولى التي احتوت على مقدمة ذكر فيها الغرض والموضوع الذي وضعت من اجله .

٩- كان لاستعمال إسلوبي التوازن والتقسيم الموسيقي دور في عدم شعور القارئ للرسالة بأي ملل رغم طولها .



الهوامش:

(١) ينظر ثلاث رسائل في الهجاء :٧-٩.

(٢) الأغاني :٢١|٣٢٠.

(٣) ينظر: ثلاث رسائل في الهجاء: ٨.

(٤) ينظر: رسالة التربيع والتدوير (المقدمة) :٥.

(٥) التربيع والتدوير :٨.

(٦) م.ن.:٧٠.

(٧) م.ن: ٩٧.

(٨)ينظر :الملل والنحل:١|١٤٨- ١٤٩.

(٩) صالح بن عبد الله بن العباس (ت ١٥١هـ)أمير وقائد في الدولة العباسية ،تبع مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية حتى قتله في مصر ، (ينظر الأعلام :٣|١٩٢-١٩٣.والنجوم الزاهرة :١|٣٢٣.)

(١٠) سليمان بن وهب بن سعد الحارثي :وزير ،من كبار الكتاب ، كتب للمأمون وهو ابن ١٤ سنة وولي الوزارة للمهتدي بالله ، ثم للمعتمد على الله ،نقم عليه الموفق بالله فحبسه فمات في حبسه عام ٢٧٢ (وفيات الأعيان ١|٢١٦)

(١١) جعفر بن دينار الخياط : أحد القادة في جيش المأمون والمعتصم والمستعين والواثق والمتوكل ، وجهه المعتصم إلى صاحب سجن سنان ، كما وجهه إلى الأفشين سنة ٢٢٢هـ (تاريخ الطبري ٩|٢٩٩)

(١٢) أحمد بن خلف : كان يعاصر الجاحظ ، وكان مشهوراً بالبخل وله في كتاب البخلاء أحاديث ، وكان الجاحظ يقربه (م .ن : ٨ |٦٢٣ .)

(١٣) إسماعيل بن علي : هو أخو صالح بن علي وكان من قوات الدولة العباسية وتولى إدارة الحج سنة ١٤٥ هـ ، وهو عم السفاح والمنصور وكان والياً على بلاد فارس والبصرة (المعارف : ٣٧٤)

(١٤) الحسن بن وهب : أبو علي الحسن بن وهب وهو أخو سلمان بن وهب كان كاتبا وشاعرا كان معاصراً لأبي تمام توفي سنة ٢٥٠هـ

(١٥) ذكر الجاحظ في البيان والتبيين ٤|١٣ : أن اسمه وهب المحتسب

(١٦) ينظر: الأغاني : ١٦|٣٢٢

(١٧) التربيع والتدوير:١٦- ١٧.

(١٨) م.ن :٤٧.

(١٩) م.ن:٤٩.

(٢٠) م.ن: ٥٠- ٥١.

(٢١) أمراء البيان :٢|٤٦٦.



(٢٢) رسالة (ذم أخلاق الكتاب):١٣٢.

(٢٣) م.ن: ١٣١.

(٢٤) ينظر :السخرية في أدب الجاحظ: ٢٩.

(٢٥) رسالة التربيع والتدوير : ٨.

(٢٦) ينظر :م.ن: ٧.

(٢٧) - م.ن : ٢٣.

(٢٨) م.ن :٦.

(٢٩) الملل والنحل:١|٦٤-٦٥.

(٣٠) ينظر: كتاب البخلاء :١٠٢ وكتاب الحيوان:٣|٣٩٥.

(٣١) يقول الشهرستاني عن المشبهه : وصرح جماعة من الشيعة الغالية بالتشبيه وهم الهشامية منهم وهم أصحاب الهشاميين : هشام بن الحكم صاحب المقالة بالتشبيه ، وهشام بن سالم الجواليقي الذي نسج على منواله بالتشبيه، وكان هشام بن الحكم من المتكلمين وله مناظرات عدة مع العلماء في علم الكلام ومنها في التشبيه وقال هشام بن سالم أنه ـ تعالى ـ على صورة الإنسان (ينظر: الملل والنحل :١٤٨.)

(٣٢) رسالة التربيع والتدوير:٧٣- ٧٤.

(٣٣) م.ن:٤٢.

(٣٤) م.ن:٩٧).

(٣٥) م.ن:٥.

(٣٦) م.ن:٣٣.

(٣٧) م.ن:٣٧.

(٣٨)ينظر : الفن ومذاهبه في النثر العربي :١٨٨.

(٣٩) الرسالة الهزلية من أبي عثمان إلى أبي الوليد (مجلة الكتاب):١٢٩.

(٤٠) آل عمران :١٣٣.

(٤١) التربيع والتدوير :١٨.

(٤٢) م.ن:٢١.

(٤٣) م.ن: ١٠.

(٤٤) م.ن:٢٢.

(٤٥) م.ن:٥٧..



(٤٦) م.ن:١٤-١٥.

(٤٧) فن السخرية عند الجاحظ :٢٢٠.

(٤٨) م.ن: ٥١ .

(٤٩)رم.ن:٥٤ –٥٦.

(٥٠) م.ن: ٢١.

(٥١) ينظر في تفصيل هذا: علوم البلاغة :البيان –المعاني – والبديع ، لأحمد المراغي

(٥٢) . التربيع والتدوير :٦٣- ٦٤.

(٥٣) م.ن:٤١.

(٥٤)م.ن: ٢٥ -٢٦.

(٥٥) م.ن:٨٠

(٥٦) م.ن:٢٦

(٥٧) ٢٦-٢٧.

(٥٨) م.ن:٢٥

(٥٩) م.ن:٣٣- ٣٤

(٦٠) م.ن:٥-٦.

(٦١) مخارق : أبو المهنأ، مخارق بن يحى بن ناوس الجزار ؛ إمام عصره في الغناء ومن أطيب الناس صوتا ، كان الرشيد العباسي يعجب حتى أقعده مرة على السرير معه والأخير هو من أطلق عليه هذه الكنية (أبو الهنأ) توفي ٢٣١هـ ، (ينظر الأعلام :٧|١٩١).

(٦٢) زرزور: ذكره الجاحظ مقرونا بالمهارة في الشطرنج في رسالة الجد والهزل ، (ينظر : رسائل الجاحظ :١|١٩٧).

(٦٣) قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ؛ أمير عبس وداهيتها ، كان يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه ، يكنى أبا هند(ت ١٠ هـ)، (ينظر: الأعلام :ا|٤٣ وفوات الوفيات:١|٢٣).

(٦٤) الأحنف بن قيس : أبو بحر ، الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المتقري التميمي؛ سيد تميم ،يضرب به المثل في الحلم، أدرك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وولي خراسان ، وكان صديقا لمصعب بن الزبير (ت ٧٢هـ)، (ينظر :الأعلام ١|٢٧٦)

(٦٥) التربيع والتدوير:٢٣.

(٦٦) م.ن:٩٧.

(٦٧) م.ن:٣٨.

(٦٨) ينظر: م.ن:٩٧- ١٠١.



(٦٩) ينظر : الفن ومذاهبه في النثر العربي :١٦٠.

(٧٠) تاريخ الأدب العربي :٢٧١.

(٧١) التربيع والتدوير:١٠.

(٧٢) م.ن: ٦٠.

(٧٣) م.ن:١٠٥.

(٧٤) م.ن:١٠١.

(٧٥) ينظر :شخصيات ومواقف :٢٩.

(٧٦)الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز :٣٨.

(٧٧) ينظر: التربيع والتدوير.

(٧٨) م.ن:٧١-٧٢.

(٧٩) م.ن:٨٧.

(٨٠) م.ن:٧٤- ٧٥.

(٨١) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، ما قصد به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم : ٣٥.

(٨٢) علوم البلاغة :٢١٤.

(٨٣) التربيع والتدوير:٩٤.

(٨٤) إعجاز القرآن :٢٨٤.

(٨٥) الجاحظ : أبو عثمان عمر بن بحر (٢٥٥هـ-٨١٩).

(٨٦) ينظر : تأويل مختلف الحديث:٦٩-٧٠ ،والتبصرة في الدين ٦٩ -٧١.

(٨٧) ينظر: التربيع والتدوير.

(٨٨) ينظر رسائل الجاحظ : :٤|٢٥٣.

(٨٩) م.ن:٤١- ٤٢.

(٩٠) ينظر الرسالة الهزلية : من أبي عثمان إلى أبي الوليد:

(٩١) : الفن ومذاهبه في النثر العربي :١٦٩.

(٩٢)التربيع والتدوير:٥١.

(٩٣) من حديث الشعر والنثر :٥٦



(٩٤) الرعد:٥.

(٩٥) الصافات :١٣. ٨٩-

(٩٦) التربيع والتدوير:١٠٤.

(٩٧) ينظر السخرية في أدب الجاحظ :١٢٩.

(٩٨) التربيع والتدوير:٦٤- ٦٥.

(٩٩) م.ن: ٦٥.

(١٠٠) م.ن:٥- ٦.

(١٠١) م.ن:٦.

(١٠٢) م.ن:٥٩ – ٦٠.

(١٠٣) م.ن:٧٥- ٧٦.

(١٠٤) ينظر من حديث الشعر والنثر :٦٠- ٦١.

(١٠٥) التربيع والتدوير:٦.

(١٠٦)م.ن:١١..

(١٠٧) م.ن : ١٣.

(١٠٨) م.ن: ١٩- ٢٠.

(١٠٩) م.ن:٦٩.

(١١٠) م.ن:٢٥.

المصادر والمراجع :

- القرآن والكريم .

١- أعجاز القرآن ،أبي بكر محمد بن الخطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، تح: السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ،ط٥.

٢- الأغاني ، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني(ت٣٥٦هـ)،دار التوجيه اللبناني، بيروت ،د.ت.

٣- أمراء البيان، محمد كرد علي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ،١٣٧٦هـ.

٤- الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، ما قصد به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم ، أبو الحسن عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط ،طبعة البيرناد ، بيروت،١٩٥٧م.

٥- تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ،دار نهضة مصر للطبع والنشر ،الفجالة ، القاهرة ،ط٢٤ .

٦- تأويل مختلف الحديث ،ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تح: محمد زهدي النجار ،نشر الكليات الأزهرية ،مصر ،١٩٦٦م.

٧- التربيع والتدوير ، عمر بن بحر الجاحظ ،(ت٢٥٥هـ)، تح:شارل بلات ،المعهد الفرنسي بدمشق ،١٩٥٥م.

٨- التربيع والتدوير ، عمر بن بحر الجاحظ ،(ت٢٥٥هـ)،تح: فوزي عطوي ،الشركة اللبنانية للكتاب ،بيروت ،١٩٦٩مز

٩- ثلاث رسائل في الهجاء ،محمد فوزي مصطفى ، دار القلم ،الكويت ،ط١،١٩٨١م.

١٠- الجاحظ : أبو عثمان عمر بن بحر:فصول مختارة ،تح : محمد الدروبي ،دار النشر ، عمان، ط٥، ٢٠٠٢م

١١- ذم أخلاق الكتاب (ضمن ثلاث رسائل للجاحظ)، نشرها المستشرق :يوشع فنكل ،المطبعة السلفية ،القاهرة ،١٣٤٤ه.

١٢- الرسالة الهزلية من أبي عثمان إلى أبي الوليد ،شارل بلات ،بحث منشور في مجلة الكتاب ،العدد الخاص بالذكرى الألفية لابن زيدون ،العددان:١١- ١٢،السنة التاسعة ،يصدرها أتحاد الكتاب العراقيين ،دار الحرية للطباعة والنشر والتوزيع .

١٣- رسائل الجاحظ ، الفصول المختارة من كتب الجاحظ ،اختيار :الأمام عبيد الله بن حسان ،تح:محمد عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط١،١٩٧٩م.



١٤- السخرية في أدب الجاحظ ،هيفاء عكاوي الرفاعي ،مجلة المورد ،بغداد ،المجلد ١١ ، العدد٢،،١٩٨٢م.

١٥- شخصيات ومواقف، فوزي معروف ،منشورات: اتحاد الكتاب العرب،١٩٩٧م.

١٦- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقايق الإعجاز،يحيى بن حمزة العلوي (ت.٧٤٩هـ)،،تح:عبد الحميد هنداوي ،المكتبة العصرية ،بيروت ،ط٣، ١٩٩٣.

١٧- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)،أحمد المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط٣، ١٩٩٣م.

١٨- علوم البلاغة ،راجي الأسمر ،دار الجبل ،بيروت .

١٩- فن السخرية في أدب الجاحظ ،نشأت العاني ،مطبعة السعادة ،القاهرة ،ط١، ١٩٨٠م.

٢٠- الفن ومذاهبه في النثر العربي ،شوقي ضيف ،دار المعارف ، القاهرة ،ط٨ .

٢١- الملل والنحل ،أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت.٥٤٨هـ)،تح:أحمد السقا ومحمد رضوان مهنا ،مكتبة الأيمان القاهرة .

٢٢- من حديث الشعر والنثر ،طه حسين ،دار المعارف ،مصر ،الطبعة العاشرة ،١٩٦٩

A square and the rotation of the protruding (٢٥٥ e) study in the ideas and language

A square and the recycling of the most beautiful books bigeye in the door of sarcasm and irony in literature of the world. And would in this work, he sketched the images with words not ironic parallels the author never.

If the other was adopted in drawing a picture on a group of people, the bigeye in his letter, relied on one person, Ahmed bin Abdul Wahab as Bocklh play and make itself a world mocks it, and then bump up Ihjoh then plunges it into the bottom of the stairs.

The researchers have studied this text distinctive protruding study of ideas delivered in the course of this letter as well as identify the most important characteristics of drafting, and came up a batch of results include:

Bigeye that was able to make the true picture of Ahmed bin Abdul Wahab overlapping with a professional image

This was Alrslp Papa Ahudad the emergence of the literary arts. The most important established.

Able bigeye in his controversial methods of recruitment and logical, literary as well as other technical aspects which have had a role in the willingness of the reader in the follow-up letter, despite Qrap length without interruption.

Researchers

Muslim, Malik al-Asadi

Jassim Abdul Wahid Rahe

